تحليـــل النظـــم
فـــى علـــم السياســـة

للدكتور / عبد الغفار رشاد محمد

خلاصـــة

هدف هذه الدراسة القاء الضوء على تحليل النظم ، مضمون هذا التحليل ، مفاهيمه وافتراضاته ، التطورات والمسارات التى تطوّر خلالها ، وكيف وصل إلى مرحلة تميزت بإسهامات قدمها ديفيد إيستون وبعض المفكرين الآخرين فى علم السياسة .

تقدم الدراسة رؤية انتقادية لتحليل النظم ، فعلى الرغم من أهمية مساهمات إيستون ، وغيره من مفكرين ساهموا فى هذا الأطار لتحليل النظم ، فقد صادفت هذه المساهمات محاولات متباينة لتقييمها ، وتقدير اهميتها ، واحيانا لاعتراضها وإنتقادها ، وتركز الدراسة على اهم هذه الانتقادات والإعتراضات ، وكيف ادت إلى نتائج لها أهميتها ، سواء من حيث تعديل النماذج الرئيسية ، نموذج إيستون اساساً ، و من خلال ما قادت إليه تلك الانتقادات من محاولات وجهود لبناء نماذج جديدة ، او من خلال ما قادت إليه تلك الانتقادات من محاولات وجهود لبناء نماذج جديدة ، تقدم منها الدراسة محاولة وليم متشل ، لبناء نموذج للتبادل ، وللنظام السياسى ، مستمد اساساً من التحليل الاقتصادى للأسواق .

ولا ينحصر الإهتمام بمحاولات إيستون وحدها ، على الرغم من اهميتها ، فقد إتسعت تحليلات النظم ، وخصوصاً من خلال مفاهيم الرسالة والذاكرة والتغذية الراجعة ، التى طورها كارل دويتش ، من خلال رؤيته الواسعة ، فجاءت محاولته ، التى تزعم انها تغطى علم السياسة بكامله .

ويجد نموذج هربرت سبيرو مكانه ايضاً ، ليس من خلال زعمه تقديم نموذج شامل للسياسة المقارنة ، وليس علم السياسة بكامله كما ادعى دويتش وإيستون فى محاولتيهما ، وإنما من خلال مفاهيم خاصة محددة ، تناولها سبيرو ، لتعريف المجتمع والنظام السياسى ، والقضايا ، والإختلاف بشان المشكلات ، بغض النظر عن

درجة الحاحها ، ومرونتهما ، وبغض النظر عن النجاح او الفشل فى محاولة حلها .

وتمتد تاثيرات تحليل النظم لايستون ، لتؤثر فى هذه المحاولات التى قام بها دويتش ، وسبيرو ، إلى مورتن كابلن ، الذى حاول ان يبذل جهداً ، اعتبر رائداً ، لتطبيق هذا التحليل فى السياسة الدولية .

لذلك يتضمن هذا البحث ، بالتحليل ، تقييماً لمحاولة إيستون التى اهتم فيها بما اسماه " نظرية سببيه " لبحث وتوضيح العلاقة بين الوقائع السياسية .(١)

وهذا التحليل يفرض الألمام بمحاولات إيستون المبكرة ، وكيفية تطوّرت إلى مرحلة جديدة ، تبلورت فيها فئات مترابطة منطقياً ، وإضافات جاءت فى اطار وعية لما احاط بمحاولته المبكرة من إنتقادات واعتراضات ، وان لم يتغير ه العام .

كما يستند تقييم جهود إيستون إلى محورين : اولهما - ل اهم الأصول الفكرية التى إستمد منها إطاره التحليلى ، وثانيهما - يعالج اهم الإنتقادات التى واجهت هذا الأطار ذاته ، وتشمل هذه الإنتقادات على وجه التحديد ثلاث فئات :-

ا - الأولى تتعلق بالمفاهيم المستخدمة فى اطار التحليل .
ب - والثانية تتعلق بالامكانيات الاجرائية .
ج - والثالثة تتناول التوجهات الايديولوجية .

كذلك تعرضت محاولات تحليل النظم الأخرى للإنتقادات ، ولتقدير اهميتها ، وجوانبها الخاصة بها ، شملت صياغة دويتش ، وسبيرو ، وكابلن ، وما يرتبط بها من إمكانيات لبناء وبلورة نماذج جديدة .

اولاً : تحليل النظم عند ديفيد إيستون

يعتقد ديفيد ايستون إن الحياة السياسية إنما تشكل " نظاماً سياسياً ملموساً " والذى هو جانب من النظام الاجتماعى العام ككل .(٢) وقد إتجهت جهود إيستون لبناء نظرية سياسية موجهة وجهة امبيريقية .(٣) وبدا إيستون جهوده هذه فى مطلع الخمسينات بكتابه " النظام السياسى " . ثم تطورت جهوده فى النصف الثانى من عقد الستينات لتطوير هذه النظرية من خلال وضع عدد من المفاهيم الرئيسية ، ومحاولة صياغتها ، على أمل ان تصبح ممكنة التطبيق امبيريقياً .(٤)

وقد استهل إيستون جهوده بالافتراضات الآتية :-

اولا : إن البحث الإمبيريقى بهدف المعرفة التى يمكن الاعتماد عليها يتطلب فى النهاية بناء هيكل اوجسد لنظرية نظامية ، ويتطلب التعميم ، فالمعرفة العلمية هى معرفة نظرية تستند إلى حقائق ، لكن الحقائق وحدها لا تفسر الحوادث ، إذ لابد من ان تنظم بطريقة ما . وتنظيم الحقائق وربطها معاً ، في اطار علم السياسة ، يسهم فى تصور إيستون ، فى اصلاح المجتمع من خلال تطبيق المعرفة .

ثانيا : إن دارسى الحياة السياسية يجب ان ينظروا إلى النظام السياسى ككل ، وليس التركيز على حلول لمشكلات خاصة . والنظرية يجب ان ترتبط بالمعرفة الموثوقة ، التى يمكن الاعتماد عليها ، والبيانات الأمبيريقية . والنظرية بلا حقائق قد تكون موجهة ، لكن الوجهة لا تكون فى الاتجاه الصحيح ، اى ان مغزى النظرية قد يتلاشى ، وقيمة الحقائق قد تنتهى .(٥)

ثالثا : إن دراسة النظام السياسى تستند إلى نوعين من البيانات : اولهما : البيانات السيكولوجية التى تتعلق بالشخصيات والدوافع ، وثانيهما : بيانات موقف معين يشير إلى النشاط الذى تصوغه وتشكله التاثيرات البيئية ، وهى التاثيرات التى مصدرها البيئة المادية والجغرافية والبيئة الاجتماعية بمكوناتها المختلفة .

رابعا : قد توصف الحياة السياسية بانها غير متوازنة . عدم التوازن لا يعنى فقط التغير او الصراع ، وإنما الاتجاه المضاد للتوازن . التوازن اذن مفهوم فى عقل الباحث ، يساهم فى فهم العالم الإمبيريقى ، بمعنى ان العقل يتصوّر نتيجة ما قد يكون ، وهذه النتيجة قد تتعارض مع ما يحدث فعلاً فى الواقع العملى . والإختلاف بين الحالتين يمكن تفسيره وتوضيحه .

لقد تضمنت معالجة إيستون صياغة لأطار نظرى عام ، فركز على النظام ككل وليس مجرد اجزاء منه ن وكان على وعى بالتاثيرات البيئية على النظام ، وأدرك الفروق بين حياة سياسية فى حالة توازن ، وحياه فى حالة إختلال التوازن .(٦)

وقد رفض إيستون مفهوم الدولة ، بالنظر إلى الاختلاف والاضطراب فى المعانى الذى يثيره هذا المفهوم . فالنظام بالنسبة له يسمح بتحديد المفاهيم النظرية بوضوح ، والقوة تفهم بإعتبارها واحده من مفاهيم عديده ذات مغزى ، تفيد فى دراسة الحياة السياسية . والقوة ترتبط بصياغة وتنفيذ السياسة السلطوية فى المجتمع . وتعتمد القوة على التاثير الذى يخضع له الآخرين ، وضبط ورقابة القنوات والطرق التى من خلالها تتخذ ، وتنفذ ، القرارات المحددة للسياسة . وبهذا فإن السياسة تتكون من ذلك النسيج الذى تشكله القرارات والتصرفات ، التى توزع القيم .(٧)

تمثل مفاهيم : القوة او السلطة ، وصنع القرارات او السياسات ، اهمية جوهرية فى تحليل إيستون للحياة السياسية كتوزيع سلطوى للقيم .(٨) يقول إيستون : " إن الخطوة الأولى فى طريق إكتشاف بؤرة ، ومركز الدراسة او البحث السياسى ، هى ضرورة البحث عن معنى المفاهيم الثلاثة : السياسة او القرار المتخذ ، السلطة ، والمجتمع " .(٩)

فالمجتمع فى راى إيستون ، وما يضمه من ابنية وعمليات ، تحدد المراكز الاجتماعية ، والأدوار التى يضطلع بها اعضاء هذا المجتمع ، وتوفر لهم امكانية تحقيق منافع محددة او مكافآت وقيم ، لا تكون متاحة للآخرين . فالمراكز والأوضاع والأدوار الاقتصادية مثلاً توفر لأصحابها قيم ومنافع إقتصادية ، من عمليات الانتاج والتبادل ن وبالمثل فإن المؤسسات التعليمية والدينية والطبقية ، وغيرها ، تساعد على توزيع قيم ، ومزايا ومنافع اخرى ، تكون متاحة ، على نحو غير متساوى او متكافىء ، فى المجتمع ، وكل مجموعة من المؤسسات تساعد بطريقة او باخرى من طرق توزيع القيم فى المجتمع . وعلم السياسة ، والبحث السياسى ، يعد بحثا متميزاً وتميزه فى راى إيستون يرجع إلى انه يتناول هذا التوزيع للقيم ، عندما يكون سلطويا ، اى عندما يجب ان يتم او يطاع ، وذلك وفق اسس سيكولوجية واخلاقية .(١٠)

قد يكون مصدر هذه الطاعة او القبول هو الخوف من النتائج المترتبة على المخالفة ، كما قد يكمن هذا المصدر فى العادات والتقاليد ، او الرغبة فى التماثل ، او قد تفرض هيراركية القيم وتدرجها اولوية لمتطلبات حفظ وإحترام النظام الدستورى ، بحيث تسبق اى متطلبات تستلزمها إتباع سياسة ما ، او قرار ما ، وعدم مخالفتها .(١١)

ونظراً إلى الحاجة لنظرية نظامية ، فقد حدد إيستون بعض سمات للنظام

السياسى . وذلك فى سياق محاولته فى إتجاه نظرية سياسية عامة . من اهم هذه السمات والخصائص العامة للنظام السياسى التى ناقشها إيستون :-

أولا : خصائص تتعلق بتحديد النظام . ومكوناته . والعلاقات بينها . فى شكل وحدات . وحدود . ومدخلات ومخرجات . وتمايز داخل النظام . وتكامل داخله .(١٢)

ثانيا : من المفترض إن النظم ذات طبيعة تكيفية . او مرنه . فالنظم يجب ان تمتلك القدرة على الإستجابة للتوترات . والإضطرابات . ومن ثم ان تتكيف مع الظروف التى تحيط بها . ومع المؤثرات البيئية . وقد تقع النظم تحت تاثير ضغوط متغيرات جوهرية . وتاثيرات تتجاوز الاطار الذى توقعه الباحث مسبقاً .

ثالثا : قد تمتلك النظم عمليات للحياه . بمعنى الوظائف الأساسية . لكنها قد تكون غير قابلة للاكتشاف . او للتعرف عليها امبيريقياً . وبدون هذه الوظائف الأساسية قد لا يكون فى امكان النظام ان يستمر على قيد الحياه . إلى جانب طرق الاستجابة والتكيف التى من خلالها تتم ادارة النظام وبقاءه .

رابعا : تضم النظم وحدات او عناصر تمثلها التصرفات او الأفعال السياسية ويقوم بهذه التصرفات او السلوكيات السياسية اعضاء النظام . ويفترض إيستون ان مفهوم اعضاء النظام - بالرغم من انه لم يقل ذلك صراحة - يشير إلى مجموعة معينة يمكن تحديدها من الأفراد الذين ينجزون افعالاً او تصرفات سياسية .(١٣)

ويؤكد إيستون ضرورة الإهتمام مبدئياً بمجموعة فرعية من هؤلاء

الأعضاء ، وهى السلطات ، لأن النظم يجب لكى تجعل الحركة الجماعية ممكنة ، إن تمتلك مثل هذه السلطات .

خامسا : وهذا يقود إلى المخرجات السياسية ، والتى تشير ، فى مفهوم إيستون ، إلى القرارات ، أو تصرفات السلطات وسياساتها المتخذه ، كما قد تشير المخرجات عنده إلى التوزيع السلطوى للقيم .

وتمثل المؤثرات البيئية أهمية تحليلية خاصة فى كتابات إيستون ، لكنه اعتبر ان من الممكن تبسيط مهمة تحليل اثر البيئة من خلال تركيز الانتباه على أنواع معينة من المدخلات ، التى يمكن إستخدامها كمؤشرات لأهم المؤثرات ، وما تسهم به من ضغوط ، عبر الحدود ، فى النظم السياسية .(١٤) وركز على نوعين رئيسيين من هذه المدخلات هما : المطالب والتاييد . ومن خلال هذين النوعين من المدخلات فإن انشطة واسعة فى البيئة يمكن ان تتخذ قنواتها فى التأثير فى الحياة السياسية ، ومن ثم تعد مؤشرات رئيسية للطريقة التى بواسطتها تعدل الظروف والمؤثرات البيئية ، وتصوغ ، عمليات النظام السياسى .(١٥)

تطوّر مساهمات إيستون

اشارت كتابات إيستون المبكرة إلى أهمية ما يحتقه علم السياسة ، إذا امكن إستخلاص التعميمات التى تتجاوز خبرة أى نظام سياسى بمفرده ، أو اى نظم سياسية تنتمى إلى نفس الحضارة أو الثقافة ، بمعنى ضرورة التوجه المنهجى الذى يكفل الدراسة المقارنة للمؤسسات السياسية ، والتعرف على الطريقة التى من خلالها يمكن التعرف على كيفية قيام تلك المؤسسات بإنجاز نفس المهام فى ظل الظروف المختلفة لكل نظام سياسى . لذلك اكد إيستون على أهمية إكتشاف المهام المتشابه ، أو المحددة ، فى كل نظام سياسى ، معاصر أو تاريخى ، فى سبيل تطوير علم السياسة .(١٦)

اذ اعتبر إيستون ان التفاعلات السياسية فى مجتمع ما تشكل نظاماً للسلوك ، وهذا النظام السياسى لا يمكن فصله أو عزله عن النظام الاجتماعى الشامل ، وهكذا يمكن التمييز بين المتغيرات الجوهرية داخل النظام ، خصوصاً تلك المتعلقة بتوزيع القيم وتواتر الاذعان أو الطاعة ، والمتغيرات البيئية التى تؤثر فى النظام ، والمخرجات الناتجة عن النظام .(١٧)

ويوضح الشكل التالى هذه السمات ، وقد اصبح مألوفاً ومتداولاً لدى اغلب باحثى العلوم السياسية .(١٨)

البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

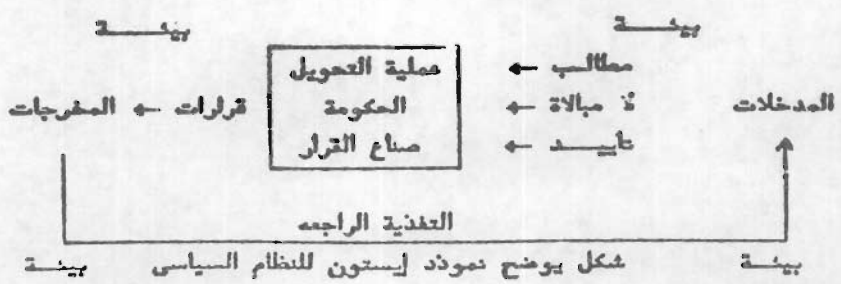

شكل يوضح نموذج إيستون للنظام السياسى

وهذا الشكل يفترض ، تحليلياً ، فصل الحياة السياسية عن الجوانب الأخرى في المجتمع ، والتي اسماها إيستون البيئة ، وهذا الفصل يتم من خلال حدود تبين اين ينتهي النظام ، ويبدأ ، وتكون المدخلات في شكل مؤثرات على النظام ، وتنشأ من البيئة ، أو من النظام ذاته . فالمطالب تنشأ داخليا أو خارجيا ، وتصبح قضايا يكون اعضاء النظام معدين للتعامل مع مفرداتها ، ومناقشتها ، من خلال القنوات المعترف بها في النظام ، ويمثل التاييد توجهات لتطوير وبقاء النظام السياسي ، وتنطلق المخرجات من النظام في شكل قرارات أو افعال وتصرفات ، وهذه المخرجات تؤثر في التغذية الراجعة أو المرتدة عبر البيئة ، والتي تؤثر بدورها في إشباع المطالب ، وتولد بذلك تاييداً للنظام ، وقد تكون النتائج عكسية بمعنى تصاعد وظهور مطالب جديدة ، أو عدم التاييد للنظام .

وقد تطورت افكار إيستون ، فبدات كتاباته منذ ١٩٦٥ توضح مجموعة مترابطة منطقيا من الفئات ، تحمل طابعاً امبيريقيا ، تجعل من الممكن تحليل الحياة السياسية كنظام للسلوك(١٩) ، فجاءت محاولة إيستون لإعادة صياغة افكاره السابقة في شكل جديد ، تضمن فئات وافتراضات سبق له ان تناولها في محاولاته المبكرة السابقة ، وارتبطت بالنظام والبيئة والإستجابة والتغذية الراجعة .

فالمجتمع بإعتباره النظام الذي يضم كل النظم الإجتماعية والسياسية والإقتصادية الأخرى ، وغيرها من نظم ، يعتبر اكثر النظم شمولاً . والنظام السياسي يتضمن مجموعة التفاعلات التي مصدرها السلوك الإجتماعي ككل ، في شكله الشامل ، والذي من خلاله فإن القيم يتم توزيعها ، توزيعاً سلطوياً ، على المجتمع ، واشار إيستون إلى النظم المفتوحة والنظم المغلقة ، واعتقد أن الحياة السياسية تمثل اشكالاً للنظم المفتوحة ، بمعنى إنفتاحها لتاثيرات من البيئة ، والحدود هي التي تفصل ، وتميز ، النظام السياسي عن النظم الأخرى ، وتحدد ما تتضمنه المعالجة ، وما يجرى إستبعاده منها .

وقد سمحت هذه المفاهيم لإيستون بدراسة العلاقات بين النظام السياسى وبيئة ، وما تتضمنه تلك البيئة من عناصر داخلية واخرى خارجية . فالبيئة تتضمن عناصر داخلية تشير إلى تلك التى تقع خارج حدود النظام السياسى ، لكنها داخل نفس المجتمع ، وقد تكون إيكولوجية بمعنى البيئة الفيزيقية وغير البشرية . او تكون بيولوجية ، اى تتعلق بافراد المجتمع الإنسانى ، فى تكوينهم العضوى ، وبالشخصية ، والتكوين السيكلوجى ، وبالبناء الإجتماعى والثقافى ، والنظم الإقتصادية والديموجرافية ، اما العناصر الخارجية فإنها تشير إلى جانب البيئة الذى يقع خارج المجتمع ، الذى يعد النظام السياسى نظام فرعى به ، وهذه البيئة قد تطرح نتائج وتاثيرات هامة على بقاء النظام السياسى واستمراريته ، او تغييره وتبديله .

وتتضمن البيئة الدولية على سبيل المثال ، وفق ما أورده اليستون ، نظم إيكولوجية دولية ، والنظم إجتماعية دولية ، ونظم سياسية دولية . والنظم الفرعية للنظام السياسى الدولى تتضمن نظم سياسية قومية ، والأمم المتحدة ، وقد يمكن إضافة التكتلات الدولية المختلفة اليها .(٢٠)

وقد تحول إهتمام إيستون إلى تحليل ديناميات النظم ، وبقائها او استمراريتها ، فاكد ان النظام السياسى يبقى ويصمد فى وجه التغير ، لأن النظم السياسية ليست عزلاء بلا دفاعات فى مواجهة الضغوط ، واعتبر ان مصادر التغير وضروراته قد تاتى من إتجاهين : اولهما : من البيئة الداخلية ، اى من داخل المجتمع ، وثانيهما : من البيئة الخارجية اى من خارج المجتمع . ولعل إيستون قد تاثر بكتابات تلكون برسونز التى اشارت إلى مثل هذا التغير .

والحقيقة ان بارسونز قد حاول معالجة بعض اوجه العملية السياسية ، والتى تشمل فى رايه ثلاثة اوجه(٢١) : اولها : ضرورة استمرار نوع من الاستقرار للنظام السياسى فى مواجهة التغيرات فى بيئة النظام ، او ما يسميه برسونز بالتتابع

الدائرى ، وهو ما يفرض على القيادة معرفة دقيقة بالظروف البيئية ، والموقف الذى يرتبط بحركة النظام ، وتحقق ميكانيزمات للتوازن ، وبدون ذلك يتعرض النظام لإحتمالات عدم الاستقرار ، وثالثها : النمو ، وترتبط مشكلة النمو بمطامح لتوسيع مقدرة القوة للنظام بدرجة قد تتجاوز إمكانيات الموارد المحلية(٢٢) ، وثالثها : التغير البنائى ، أو المؤسسى ، فى المكونات البنائية للنظام السياسى . ويتناول برسونز مشكلات التغير تحليلياً ، التى تسهم فى تحقيق تقدم جذرى ، وليس مجرد تطوّر(٢٣) .

وتتضمن هذه الأوجه الثلاثة فى رأى برسونز توسعا كبيرا للعوامل الفاعلة فى "عمليات" النظام السياسى .(٢٤)

النظام السياسى إذن ، وفق ما ذهب اليه ايستون ، يتاثر بما يحدث فى البيئات الداخلية والخارجية ، وقد استطاع ايستون أن يفترض نموذجاً لإستجابة ديناميكية للنظام السياسى ، كما يصوره الشكل الآتى(٢٥) :

نموذج متتابع للنظام السياسى وفق ديفيد ايستون

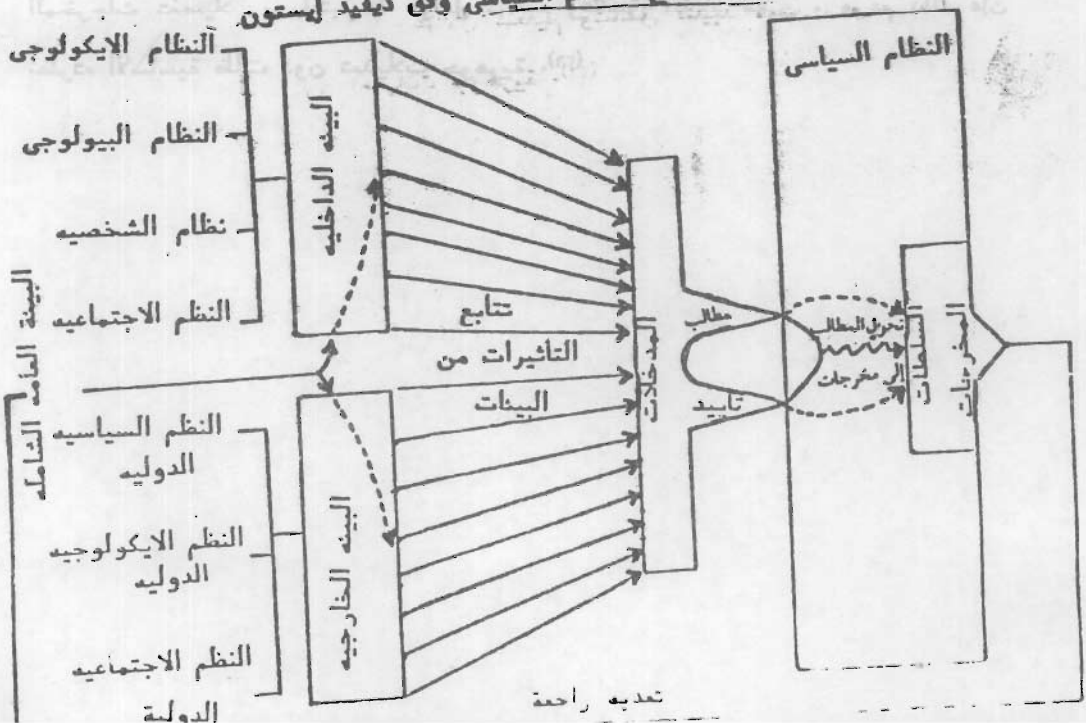

لقد إهتم إيستون بتحديد المفاهيم ، ثم كانت خطوته التالية مناقشة النظرية العامة . فاستمر ينظر إلى الحياة السياسية بإعتبارها نظاماً مفتوحاً يخضع لضغوط وتاثيرات من مختلف الظروف البيئية .

والنظام عندما تهدده تلك الضغوط ، يميل إلى الصمود فى مواجهتها ، والبقاء لذلك حاول إيستون أن ينقب عن الأسباب التى تفسر صمود وبقاء النظام السياسى فى وجه الأزمات المتكررة والمستمرة ، لتحقيق مهمة اساسية فى طرح بعض تعميمات تمكنه من عملية بناء نظرية عامة .

لكن إيستون بدا يدرك ان خطواته لم تحقق الهدف النهائى ، بمعنى نظرية كاملة محكمة ، وإن التوقيت بالنسبة لتحقق هذا الهدف لم يات بعد ، لكنه نجح ، فى تقدير الكثير من الكتاب فى صياغة أطار نظرى واسع ، يستند إلى عدد من المفاهيم ، وكان الهدف ان يصل اساساً إلى بحث إمبيريقى ، فركز على عدد من المقولات ، او الفئات الأساسية فى التحليل ، وحلل باسهاب المدخلات المطالب ، وتحول إلى المدخلات التاييد ، وحدد إستجابات الضغط الواقع على النظام ، وناقش المخرجات تفصيلاً ، بإعتبارها عوامل تنظيم وتناسق لتاييد معين ، ورغم ذلك فإن نظرته الأساسية ظلت دون تعديلات جوهرية .(٢٦)

تقييم وإنتقادات

تمثل افكار ديفيد إيستون أهمية أصبح معها من غير الممكن مناقشة نظرية النظم فى السياسة المقارنة مناقشة كاملة ، دون إشارة ، من نوع ما ، إلى هذه الأفكار .(٢٧)

لقد حاول إيستون صياغة نظرية نظامية تربط افكاره بكل العلوم الإجتماعية(٢٨) ، واشار إلى ان تحليل النظم قد حقق إنتشاراً وتداولاً فى كل العلوم الطبيعية والبيولوجيه ، وايضا الإجتماعية(٢٩) ، واكد اهمية تبلور " النظم " كبؤرة محتملة للتحليل ، واعتبر ان تحليل النظم العام " ربما كان جهداً اكثر طموحاً من نظرية الفعل او الحركة "(٣٠) ، لكى تتجه العلوم الإجتماعية إلى نوع من الأطار العام .(٣١)

ومع ذلك فإن كتابات إيستون إنطلقت مبدئيا من علم السياسة ذاته ، وقد أشار إيستون إلى ان كتاباته قد تأثرت باعمال وكتابات هارولد لاسويل وجورج كاتلن وشارلز مريم ، ويؤكد مكنزى انه لا يوجد نظرية لايستون ، على النحو الذى توجد به نظرية مثلاً لتلكوت برسونز ، لأن إيستون إنما تناول بالتفسير ، والتعديل ، تياراً من الفكر فى العلوم الإجتماعية تطوّر بشكل قوى لنحو اربعين عاماً .(٣٢)

وقد ركز إيستون على بناء نظرية سياسية - فى تقديره - بناء على إدراكه لعاملين ، أولهما : إعتقاده بان الإهتمام بالمؤسسات القانونية والرسمية قد انقضى زمنه ، بمعنى ان علم السياسة يجب ان يتجه إلى التنظير للنظام السياسى ، وعملياته ، وليس إل الدولة ومؤسساته . ثانيهما : جعل إهتمامه يتجه إلى البحث فى النظرية الكلية والتى تتعلق بالنظام ككل ، وتتجاوز حدود الدراسات متوسطة المدى ، المرتبطة بالأحزاب السياسية وجماعات الضغط ، وما شاكلها . والحقيقة إن كتابات

إيستون المبكرة (١٩٥٣) تعد مرتبطة أساساً بالتحليل متوسط المدى للأحزاب والجماعات وما إليها ، حيث رفض دمج هذه الدراسات الجزئية فى مفهوم يتم تعميمه للنظام السياسى . أما كتاباته التى اتت بعد ذلك فقد إنتقدت بشدة نظرية التوازن التى يستند إليها التحليل متوسط المدى ، وبدأت تتجه إلى البحث فى النظرية الكلية التى تتعلق بالنظام ككل .

وقد إستند إيستون إلى مصادر وتحليلات بديله ، خارج نطاق علم السياسة ، منها كتابات فى علوم الإجتماع ، والإقتصاد ، والإنثربولوجيا . ويشير بعض الكتاب إلى اهمية ، وتاثير ، برسونز بوجه خاص ، والذى انطلق فى كتاباته من ماكس فيبر ، واستنتج منه إطاراً مرجعياً للحركة ، ممكن تطبيقه على النظرية الكلية فى العلوم الإجتماعية . وقد قام برسونز بصياغة تعميمات حول النظام الإجتماعى ، واضاف إيستون إسهاماً ، وإن كان محدوداً ، إلى كتابات برسونز تتعلق بتساؤلات اثارها حول صحة النظرية السياسية ، بإعتبارها عنصر اساسى فى نظرية النظم الإجتماعية .

ورغم التشابه بين إيستون وبرسونز ، خصوصاً فيما يتعلق بإهتمام كل منهما المكثف بالقيم ، ومدلولاتها ، وهو ما ظهر فى اعمالهما ، فإن هناك اوجه إختلاف بينهما ، ويؤكد توماس لويس إن الليبرالية الكلاسيكية قد إستخدمت مفاهيم المساواة والإتفاق ، وهى مفاهيم متاصلة فى الصياغة الكلاسيكية عن الدولة التى وصفتها كتابات توماس هوبز وجون لوك . وبينما تتفق كتابات برسونز مع مفاهيم المساواة والإتفاق هذه ، والموجودة فى المذهب الليبر الى الكلاسيكى ، فإن مفاهيم إيستون ، حول التاييد واستمرارية وبقاء النظام وغيرها ... لا تقع ضمن المنظور الليبرالى ، كما ان فكرة إيستون عن توزيع القيم لم يستخدمها هذا المنظور الليبرالى .(٣٣)

وقد إستخدم إيستون ، كوحدة للتحليل والمعالجة ، وإن كانت تكميلية ، " الوظيفة " ، والتى كان لها إستخدامها فى علم الإنثربولوجيا ، وإستخدمت على

نطاق أوسع إنتشاراً في علم الإجتماع . لكنها إستخدمت بعد ذلك في مختلف العلوم الإجتماعية .(٣٤)

واكد إيستون ان التحليل البنائي - وفق التسمية التي اطلقها إيستون ذاته - لا يمثل نظرية ، وإنما مفهوم جوهري في كل المناهج العلمية ، كما إحتل صنع القرار ، أو الإختيار السياسي ، أهمية خاصة في الإطار الذي رسمه إيستون ، إستناداً إلى كتابات أولئك الذين تأثروا بعلم النفس الإجتماعي واكدوا على اهمية عملية الإختيار .

ويبدو ان الأطار الذي رسمه إيستون قد تأثر إلى حد كبير بالمفاهم التي ترتبط بالإقتصاد الكلي ، أو الماكرو ، وقد لاحظ وليم متشل إن مفهوم إيستون للتخصيص السلطوي للقيم يشبه نظريات توزيع الدخل وتخصيص الموارد في علم الإقتصاد ، وفي النظرية الإقتصادية الكلاسيكية على وجه الخصوص ، وهي النظرية التي تركز أيضاً على الإقتصاد بإعتباره عملية توزيعيه ، أو نظام توزيعي

ويشير وليم متشل إلى ان منهج علماء السياسة الأمريكيين لدراسة السياسة ، سواء على مستوى اطار المفاهيم المجرده ، او على مستوى البحث الأمبيريقي الفعلي ، يجعلهم ينظرون إلى مشكلتهم على إنها مشكلة توزيع القوة ، او قد يتبنون ذلك المصطلح الأوسع الذي اوضحته تحليلات إيستون وهو " التوزيع السلطوي للقيم " مع تركيز خاص على القوة .

وهذا التوجه في دراسة السياسة ، يوصف بانه توزيعي ، لأنه يهتم بالتوزيع أو التخصيص ، بإعتبارة الوظيفة الكبرى ، وإن لم تكن الوحيدة للنظام السياسة . ومن ثم فإن المشكلة الكبرى لعلماء السياسة تصف وتفسر هذه العمليات ، والأبنية ، التوزيعية . اما المشكلات الأخرى . فإنها اما لا تدخل اصلاً في نطاق المعالجة ، واما تصبح ذات اهمية ثانوية محدودة .(٣٥)

ويشير متشل إلى ان إعتبار السياسة عملية توزيعية تمثل فرضية مهيمنة على علم السياسة الأمريكى ، وفى الواقع خلال تاريخ الفلسفة السياسية ، وفق ما يعتقده(٣٦) . ويؤكد إن نظريات التوزيع يجب ان تظل جزءاً هاماً من علم السياسة ومن الفلسفة السياسية ، طالما ظلت الظروف التى تفرض هذا التوزيع قائمة ، لتجعل منه ضرورة . ولكنه يعتقد ان نظريات التوزيع فى حاجة إلى أن ترتبط بنوع من التحليل اكثر شمولا ، كذلك النوع الذى تمثله نظرية النظم(٣٧) . لكن هذه الآراء اثارت تساؤلات لدى فريق من العلماء ، فهل السياسة تمثل علم توزيعى فعلاً ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فاين موقع السلع العامة ، التى تختلف عن السلع التوزيعية ، فى كونها متاحة للجميع ؟(٣٨) .

إن ثمة تشابه مع النموذج الإقتصادى الكلاسيكى الذى تمثل كتابات آدم سميث بؤرة التحليل والدراسة فيه ، كذلك فإن نموذج إيستون يشترك مع المنهج الإقتصادى التقليدى فى قاسم مشترك لا يتعلق فحسب بافكار النسق والمدخلات والمخرجات ، بل وايضاً فكرة الندرة ، والتخصيص ، والمنافسة ، وتحقيق اقصى ربح ممكن ، والتوازن ، والإعتماد الوظيفى المتبادل ، والتنظيم الذاتى ، والبحث عن تحقيق الأهداف ، والتغذية الراجعة(٣٩) .

كذلك فإن اضافة إيستون لصفة " سلطوى " إلى التوزيع تتعرض لتساؤلات ، لأنها تكرس فكرة الطاعة ، فيقابل كل المواطنون كل القرارات بالطاعة ؟(٤٠) .

ومفهوم إيستون عن النسق ينبثق اساساً من العلوم الطبيعية وعلم الأحياء ، يقول إيستون : إن علم السياسة فى حاجة إلى نظرية عامة فى العملية الحيوية ، كتلك التى فى علم الطبيعة ، وعلم الأحياء(٤١) . ويؤكد ان النظم الفيزيقية والبيولوجية تتميز عن النظم الاجتماعية بانها اكثر بساطة ، لأنها نظم منعزلة عن المناخ المحيط بها ، وعن البيئة الخارجية . فالجسد او النظام البيولوجى ، وشبكة الخلايا ، وغيرها من

نظم عضوية مبسطة ، تقيها قشرتها الخارجية ، او جلدها يعزلها ، ويحفظ عملياتها الداخلية للنمو والحياة عن المؤثرات الخارجية ، بينما النظام السياسى يتكون من عوامل وتفاعلات إجتماعية تنتشر عبر المجتمع ، ويخضع لتاثيرات البيئة او المناخ المحيط به بشكل فعّال ومؤثر(٤٢) .

وكثير من الكتاب يعتقد ان ما يقدمه إيستون يفتقر إلى تحديد وتعريف واضح ذو مغزى ، لمصطلح النسق او النظام ، الأمر الذى يطرح مشكلات منهجية ونظرية غير قابلة للحل(٤٣) .

وقد تاثر إيستون بالعلوم الطبيعية فى نقطتين ، اولاهما : تتمثل فى إخضاع السلوك فى النظام السياسى لمبدأ التشابه او التناظر الوظيفى ، وإذا لم يكن كذلك ، فإن العمليات المتناظره هى التى تحكمه . وثانيهما : محاولة البحث عن وحدات مستقرة للتحليل ، وحدات يمكن ان تلعب دوراً اولياً فى البحث الإجتماعى ، وهذه الوحدات تماثل جزيئات المادة او الذرة فى العلوم الطبيعية .

وقد اوضح جون استن إن كتابات ديفيد إيستون قد تضمنت منهجين : المنهج الميكانيكى ، والذى اشار اليه بإسم إيستون (١) والمنهج الحيوى او ما اسماه بايستون (٢) . فبالرغم من تعذر الجمع بين المنهاجين فى آن واحد فإن كتابات ديفيد إيستون قد جمعت بينهما(٤٤) . وعلى حد تعبير جون استن فإنه يوجد إثنان إيستون ، ربما غير معروفان لإيستون نفسه ، ويقول : " قد يدرك المرء نوعاً من الثورة فى فكر إيستون - إشارة الى مفهوم إيستون عن ما بعد السلوكية او ما اسماه بالثورة الجديدة - لكن كيف يستطيع إيستون التوفيق بين التزامه بالعلم الأساسى ، وبين التكيّف من اجل الملاءمة والحركة ؟(٤٥) .

كما اشار جون استن إلى المعضلة التى تواجه إيستون فى تحليل مفهوم

التوازن ، حيث لم يستطع القاء الضوء على تسلسل التتابع السببى الذى يؤدى إلى النتيجة[٤٦] ، وإلى الارتباك والحيره التى يثيرها مفهوم بقاء النظام ، لأن كل النظم تتغير بإستمرار تحولات ، ومفهوم البقاء والاستمرارية لا يمكن أن يكون أداة للتفسير ، أو نظرية[٤٧] . كما أشار أستن إلى الانتقادات التى تصف نظرية إيستون بانها " ممارسة فارغة ، أو حشو وتكرار للمعنى لا يزيد شيئاً أو قوة " [٤٨] وتشير بعض الآراء إلى أن افكار إيستون قد جاءت متوازية مع اعمال عالم النفس الأمريكى جيمس ميللر ، والذى يعد أول من ناقش قضية التكامل المنهجى ، ضمن أعمال فريق من علماء فى مختلف العلوم الإجتماعية والفيزيقية والبيولوجية ، كالإقتصاد والتاريخ وعلم النفس والطب وغيرها[٤٩] .

وقد وضع جيمس ميللر الافتراضات الأساسية لنظرية عامة للنظم ، إستناداً إلى تعريف النظام بإعتباره " مجموعة من الوحدات بينها علاقات تربطها " وأوضح الإختلاف والتباين بين النظم الملموسة والنظم المجردة ، واهتم بالنظم الملموسة ، وعبر عن شكوكه بالنسبة للنظم المجردة أو النظرية التى صاغها برسونز . كذلك أشار إلى التفرقة بين النظم المفتوحة والنظم المغلقة ، وإلى توازن النظام الذى قد يكون توازناً مستقراً ، أو غير مستقر ، أو محايد . وإلى النظم الحية بإعتبارها نظم مفتوحة ، وعلى الهيكل أو البناء بإعتباره الترتيب الاستاتيكى لأجزاء النظام . أما العملية فنظر إليها بإعتبارها " تغير ديناميكى لذلك النظام عبر فترة زمنية " . كما اشار إلى النظم والنظم الفرعية .

ومهما كانت التاثيرات على كتابات ديفيد إيستون ، والأصول الفكرية التى استمد منها افكاره ، فإن هذه الكتابات والأفكار جاءت مبكرة لكى تضع صاحبها فى مقدمة تيار نظرية النظم العامة ، والتى له فضل فى تكييفها لتتلاءم وعلم السياسة[٥٠] .

إن ثمة تشابه واضح ، وقاسم مشترك ، يجمع بين النظرية الإقتصادية ، وكذلك العلوم الفيزيقية ، والبيولوجية ، والإفتراضات العضوية للنظام كما صاغها ديفيد إيستون ، وليس من الصعب تحديد هذا التشابه ، كما ان ثمة تاثيرات لعلوم الإجتماع والانثربولوجيا على كتابات ايستون ، وهكذا ربط إيستون بين عناصر شكلت تقليداً للتكامل المنهجي ، في البحث عن نظرية للنسق او النظام ككل ، وهناك محاولات للتوليف بين اكثر من منهج للوصول إلى نموذج عام او نظرية عامة في الفكر المعاصر تستند إلى فكرة النسق ، وقد حاول ارفن لازلو توضيح ان مثل هذا النموذج العام متاح اليوم ، وهو نموذج النظم الفيزيقية والعقلية ، والذي يطبق على الخبرة الإنسانية ، ومشكلاتها ، وهو نموذج فلسفي للنظم ، يتضمن عناصر متكاملة ، ملموسة وحقيقية او فعلية ، وبيولوجية ، وفيزيقية ، وايضا إجتماعية(٥١) .

ويعتقد هولت وريتشاردسون ان ما يقدمه إيستون يفتقر إلى الأسس والمتطلبات التي يلزم توافرها في النموذج او النظرية ، وإذا كان إيستون قد قدم افكاره بإعتبارها نموذجاً متتابعاً للنظام السياسي ، فإنهما يعتقدان إن إيستون لم يقدم مثل هذا النموذج على الإطلاق(٥٢) .

إن مفهوم النظام يمثل نقطة محورية في صياغة إيستون ، وقد اكد إيستون - في اطار تعريفه لهذا المفهوم في وضوح - ان التفاعلات السياسية في المجتمع تشكل نظاماً للسلوك ، لكن هذا التعريف يصبح ذات مغزى فقط اذا توافر شرطان :-

الأول : إذا امكن تعريف مفهوم نظام السلوك بشكل واضح محدد .

والثاني : إذا وجدت مجموعة من التفاعلات السياسية بالفعل في المجتمعات ، بطريقة تتلاءم ، وتتفق مع هذا التعريف(٥٣) .

لكن هذا المفهوم لا يحمل المفاهيم والنتائج التى تجعل منه اساسا لنموذج ، او جسداً لنظرية متقدمة . وليس من المعقول - وفق هذا الراى - الافتراض بان هذا هو ما يقدمه إيستون[٥٤] .

وعندما حاول إيستون تعريف النظام السياسى بانه مجموعة من المتغيرات ، بغض النظر عن درجة العلاقات فيما بينها ، قدم تبريراً لهذا التعريف ، بإعتباره يحررنا من أن نتعرض لمناقشة ما إذا كان النظام السياسى هو حقاً نظام فعلى ام لا[٥٥] . والمعيار الوحيد لدى إيستون الذى يمثل اهمية عند إنتقاء مجموعة من المتغيرات كنظام للتحليل هو ما اذا كانت هذه المجموعة تشكل نظاماً هاماً ، وتساعد فى فهم جانب من السلوك الإنسانى ، فى تقدير الباحث[٥٦] .

من هنا فإن ثمة حاجة واضحة إلى تعريفات إضافية قبل إتخاذ أى نوع من الصياغة النظرية ، او البحث الإمبيريقى الملائم للحياة السياسية[٥٧] . ويمكن العثور على واحد من هذه التعريفات الإضافية فى كتابات إيستون ، الذى راى أن النظام السياسى يمكن النظر إليه بإعتباره : تلك التفاعلات التى من خلالها يتم توزيع القيم توزيعا سلطويا .

لكن هذا التعريف يقود إلى تساؤل هام حول مجموعة الإفتراضات الأساسية التى تمثل جوهر واساس صياغة إيستون التى يمكن إستخدامها كنموذج ، بمعنى : ما هى طبيعة العلاقة بين النظام كما يعرفه إيستون ، وكما يفهم من خلال وصف خصائصه ؟ اى ما طبيعة العلاقة بين تعريفه الظاهرة وسماتها المميزة ؟

لم يقدم إيستون قواعد للاستدلال تسمح بتحديد واضح يخلو من الغموض حول عناصر النظام ، واعضائه ، وحدوده ، وبيئته ، فى اطار هذا التعريف .

من هنا لا تقدم صياغة إيستون نموذجاً حقيقياً لو على افضل التقديرات فإنها تقدم نموذجاً ضعيفاً يخلو من العناصر الأساسية ، لذلك يصف هولت وريتشاردسون صياغة إيستون بإعتبارها " مجرد تجميع لفئات وصفية ، وتعميمات حدسية "(٥٨) . وبالرغم من ان هذه الصياغة قد إستخدمت بعض من لغة واساليب تتفق مع قواعد او اعراف متفق عليها لتحليل النظم ، إلا ان الإفتراضات التى تقدمها كنموذج ، وكمرشد لبحوث إضافية ، لا تمثل اكثر من مجرد " تعبيرات شيقه " ذات طبيعة مؤقتة حول الحكومات(٥٩) . ومثال ذلك تحليلات إيستون حول الظروف الضاغطة التى تواجهها النظم ، والتى مصدرها البيئة ، حيث يؤكد إيستون إن النظام قد يعانى من هزيمة شاملة على يد عدو خارجى ، او من ازمة إقتصادية حادة تثير إستياءاً واسعاً ، وتهدد بتفكك النظام ، الأمر الذى يثير إفتراضات حول عجز السلطات وعدم قدرتها - فى رايه - على إتخاذ القرارات ، او ان القرارات التى تتخذها تصبح غير مقبوله ، وغير شرعية ، فيصبح التوزيع السلطوى للقيم فى ظل مثل هذه الظروف غير ممكناً ، وينهار المجتمع ، بسبب حاجته إلى نظام للسلوك لإنجاز وظائفه الأساسية(٦٠) .

فمن الصعوبة الإعتقاد بأن " مجموعة من التفاعلات " تخضع لهزيمة شاملة على يد عدو ، او يفعل ازمة إقتصادية حاده . كما ان القول بخضوع تلك المجموعة من التفاعلات لإستياء واسع او شامل ليس امراً ممكنا او معتاداً . وتمثل مصطلح الحكومة قد يكون بديلاً من مصطلح النظام فى هذه الحالة ، فتصبح مثل هذه التعبيرات ، مقبولة ظاهريا . لكنها تعبيرات لا يمكن ان تشكل عناصر ومقومات لنموذج بالمعنى الصحيح(٦١) .

والحقيقة التى تؤكد عليها هذه الدراسة إن كتابات إيستون وتحليلاته تمثل اهمية خاصة ، وعلامة بارزة فى تطور دراسة السياسة المقارنة ، وعلم السياسة عامة . ولا يمكن القول بتجاهلها ، او التقليل من اهميتها نتيجة الإستناد إلى معايير محددة

يلزم توافرها فى هذه الكتابات والتحليلات لتشكل نموذجاً ، او نظرية ، بالمعنى الذى حدده كلا من هولت وريتشاردسون ، او من سار على دربهما ، خصوصاً عند المبالغة فى اهمية هذه المعايير ومحتواها ، والتشديد على عناصرها بشكل يجعلها اقرب الى المعايير المستخدمة فى العلوم الطبيعية ،

.. دون النظر الى ما تتميز به العلوم الإجتماعية ، وعلم السياسة على وجه الخصوص ، من طبيعية تميزها ، وسمات وخصائص تترك بصماتها واضحة على الكتابات والتحليلات فى مثل هذه العلوم .

وعلى حد تعبير أحد الكتاب فإن اطار تحليل النظم الذى إستخدمه إيستون " قد ايقظ علماء السياسة ولفت إنتباههم الى طرق لتحليل العلاقات المتداخله المعقدة للحياة السياسية "(٣) .

إن اطار ا يستون يمثل جهداً لتنظيم البيانات السياسية خلال نسق متكامل من المفاهيم ، ويؤكد هذا الجهد على دراسة وتفسير النظام السياسة ككل ، اكثر من التركيز على عناصر هذا النظام ، كل منها على حده ، ويمكن ملاحظة الكثير من السمات المشتركة ، التى تجمع بين تحليلات إيستون ، وكثير من مفكرى المدرسة السلوكية ، من بين هذه السمات :-

(١) رفض المفاهيم التقليدية لعلم السياسة ، كالدولة والقوة ، والتى اعتبرت غامضة ، وذات طبيعة معيارية او قانونية .

(٢) إستخدام مفاهيم كالمدخلات والمخرجات والتغذية الراجعة ، والتى اعطت معنى دقيق ، كعناصر فى بناء نظام ما .

«٣» تتضمن مفاهيم شاملة ، مثل التخصيص السلطوى للقيم ، والتى يمكن إستخدامها فى تعريف المعرفة السياسية الكاملة .

«٤» التاكيد على ضرورة التكامل المنهجى فى بناء النظرية[٦٣] .

إلا ان إطار إيستون لا يخلو من جوانب نقص ، وجهت إليها انتقادات عديده ، بعضها تركز حول المفاهيم ، وبعضها الآخر تناول إمكانياتها الاجرائية ، والبعض حاول مناقشة توجهها الإيديولوجى .

اولاً : إنتقادات تتعلق بالمفاهيم

رغم إن إيستون قد كرس إهتماماً كبيراً لتبسيط وتوضيح المفاهيم ، فإن الكثير من الإنتقادات وجهت إلى صياغته ، على اساس عدم كفاية المفاهيم ، وان ماجاء بها من مفاهيم كان مبالغاً فى الإهتمام بإستقرار وبقاء النظام فى مواجهة التغير ، والصراع ، الذى يميز الحياة السياسية الجارية فى العصر الحاضر ، وهو المفهوم ذات الوجهة المركزية لتخصيص القيم ، ولإستخدام الحدود .

وقد إتضح إهتمام إيستون بهذا المفهوم - مفهوم إستقرار وبقاء النظام او إستمراريته - فى مناقشاته المكثفة للبقاء ، بحيث اصبح بقاء النظام واستمراريته يشكل قرضية مركزية فى كل تحليلاته ، فاصبح كل شىء معلق على بقاء النظام[٦٤] .

ويبدو ان فكرة بقاء النظام لدى إيستون قد استقاها من علم الأحياء ، فالنظام العضوى الحى يبقى مرتبطا بالحياة ، واعضاء او اجزاء هذا النظام العضوى للكائن الحى تؤدى وظائفها لكى يستطيع النظام أن يحيا ، ويؤدى وظائفه ، وعلى نحو مماثل اشار إيستون إلى " عمليات الحياة " للنظام السياسى ، فإذا فشل فى تادية

وظائفه ، فإنه - أى النظام السياسى - لا يستطيع البقاء والإستمرار على قيد الحياة ويقصد إيستون بعمليات الحياة " التخصيص السلطوى للقيم " فى المجتمع ، والتى تشكل بدورها تعريفه لعلم السياسة . وهكذا فإن النظام السياسى يفشل فى البقاء عندما لا توجد سياسة(١٥) .

إن بقاء النظام واستمراريته يرتبط بالاستقرار ، والتوازن ، وكلها مفاهيم استاتيكية ، تتعارض مع طبيعة التغير السياسى ، الذى يعترى المجتمع المعاصر ، لذلك فإن مفهوم بقاء واستمرارية النظام تعرض لإنتقادات متتالية(١٦) ، وإعتبره البعض مفهوم يقود إلى إدراكات خاطئة للمواقف الواقعية ، وللشعب .

والفكرة التى تعتبر إن السياسة هى تخصيص للقيم تعرضت ايضاً للإنتقادات ، بإعتبارها يمكن ان تقود إلى إفتراضات خاطئة ، فالتركيز على مشكلات التخصيص قد يقود إلى النظر إلى النظام السياسى بإعتباره يؤدى وظيفة واحدة فقط ، هى التخصيص ، بل وهناك من اعتبر إن السياسة لا تقوم بتخصيص القيم فى المجتمع ، وإن الاقتصاد هو الذى يزع الموارد والدخول(١٧) .

وسمحت هذه الانتقادات لوليم متشل بصياغة فكرة من خلالها ينظر إلى النظام السياسى على أنه نظام " للإختيار العقلانى " . والنظم الاقتصادية قد تطرح حلولاً للمشكلات ، كذلك النظم السياسية تطرح حلولاً ، أو تخلق خيارات عبر الزمن ، والى جانب هذا التأكيد على الاقتصاد السياسى إفترض متشل نموذجاً للتبادل ، مع الإهتمام بالانسياب ، الدائرى والمعقد ، للمبادلات .

وفق متشل فإن المفهوم الاساسى للسياسة ، بإعتبارها فى جوهرها ظاهرة تبادل ، يتضمن تاكيداً على المسائل الاقتصادية ، ولا تختلف عموماً عن التبادل الاقتصادى ، وفى هذا المنظور فإن التاكيد من جانب علماء الإقتصاد على الإختيار

العقلانى من قبل الأفراد والمؤسسات ، يرتبط بمختلف اشكال التبادل التى تتداخل فيها الأحزاب والجماعات والأفراد والحكومات فى متابعة مصالحهم الخاصة[٦٨] .

ويوضح الشكل الآتى إطاراً نظرياً للنظام السياسى ، مشتق اساساً من ... دليل الإقتصادى للأسواق[٦٩] .

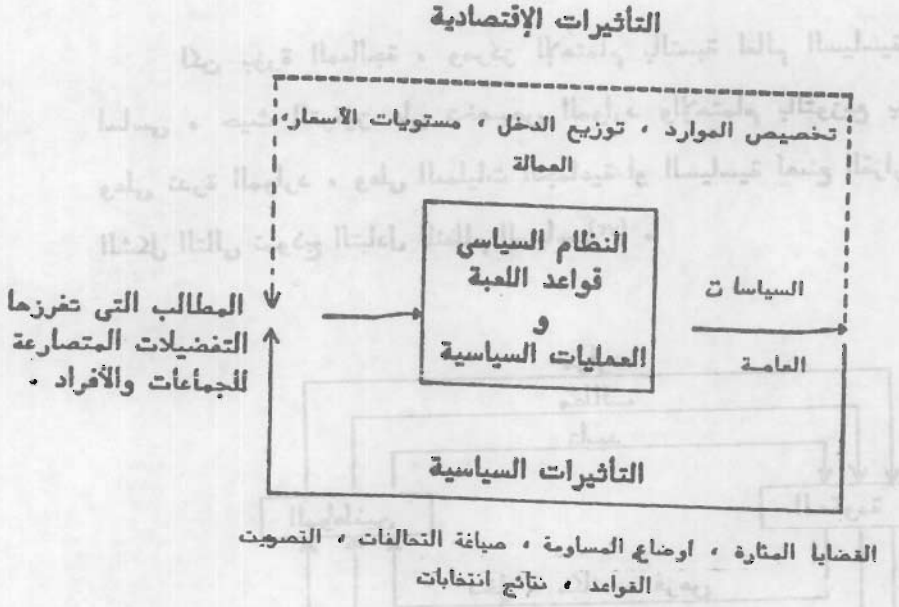

شكل يبين نموذج متشل للنظام السياسى

فالقضايا المتعلقة بتخصيص الموارد وتوزيع المنافع والنفقات ، وميكانيزمات

الضبط من اجل التكيّف ، النمو ، والاستقرار ، كلها تجد ان النظام يفرز حلولاً لها في شكل "إقتصاد عام" والذى يختلف عن " إقتصاد السوق " بسبب عملياته الداخلية للاختيار الجماعى . وإهتمام علماء السياسة بمعالجة النظام فى ظل الديمقراطية يماثل إلى حد كبير إهتمام علماء الإقتصاد ، وتاريخياً ، بإقتصاديات السوق الخاصة ، وإن كانت ترد قيود كثيرة مصدرها وجود كثير من النظم غير الديمقراطية فى العالم(٧٠).

لكن بؤرة المعالجة ، ومركز الإهتمام بالنسبة لعالم السياسية يختلف بشكل اساسى ، حيث التركيز على تخصيص الموارد والإهتمام بالتوزيع بين متنافسين ، وعلى ندرة الموارد ، وعلى العمليات الجماعية او السياسية لصنع القرار(٧١) ... ويوضح الشكل التالى نموذج التبادل للنظام السياسى(٧٢) .

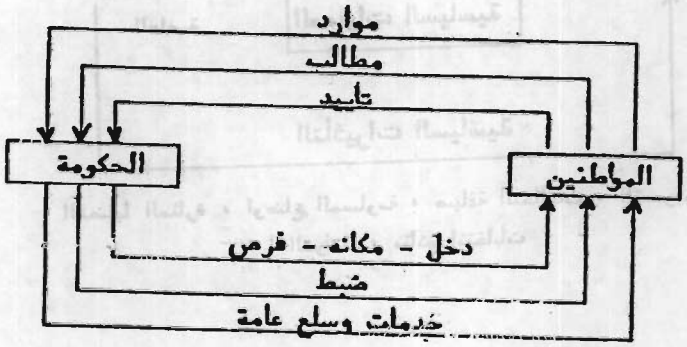

نموذج التبادل للنظام السياسى

هكذا فإن التاكيد والمبالغة فى الإهتمام بجانب بقاء النظام ، وبالطابع الإستاتيكى ، والمحافظ ، فتح الطريق امام نظرية الاختيار العقلانى الرشيد ، وما يرتبط بها من نماذج(٧٣) .

لقد تبنى إيستون " التفاعل " كوحدة للتحليل . لكل تظل هنا اشكالية يثيرها التساؤل : ما الذى يشكل تفاعلاً ملائماً من الوجهه السياسية ؟[٨٠] لكن إيستون يقدم صيغته المبكرة " التخصيص السلطوى للقيم من أجل المجتمع " كإفتراض ، على الأقل ، إجرائى ، يتضمن هذه التفاعلات السياسية ، ويقترح مصطلح " العضو " ، فالأشخاص الذى يلعبون ادواراً سياسية سوف يشار إليهم بإعتبارهم " اعضاء " والنظام السياسى ، من هنا ، سوف يحدد على انه مجموعة من التفاعلات ، مجرده عن السلوك الإجتماعى العام ، فى المجتمع ، من خلال ما يرتبط به من توزيع سلطوى للقيم[٨١] .

وهكذا فإن تحليلات إيستون قد اختزلت الانسان كظاهرة ، إلى تفاعلات ، فتظل وحدات النظام ، كما هو الحال بالنسبة إلى حدوده ، ذات طابع تحليلى . ويصف كريس تحليل إيستون للنظم عامة بإعتباره " نظرية رسمية " بمعنى إستخدام فئات مجردة لترتيب البيانات "[٨٢] ومن ثم فان تحليل النظم لدى ايستون لايشكل فى رأى كريس ، لفه متميزه ، او منهجا ، وانما اطار نظرى ، قد يمكن توقع ان يثبت يوما ما انه قادر على توجيه البحث السياسى ، وتنظيم المعالجه السياسيه بطريقه مرضيه[٨٣] ولكن ثمة حاجه وضرورة للتعرف اكثر على ما يمكن ان يقدمه مثل هذا الاطار ، وعلى اى نوع من القيم والمعرفه يمكن ان يوضح ، وعلى امكانيات وقوته التفسيريه ، وكبرنامج للمعالجه ، وطريقة لفهم العالم النظرى[٨٤] .

وقد حاول بعض الكتاب مناقشة شكل نموذج النظام ، الذى طرحه ايستون فى صيغته الاوليه ، والذى يشير الى ان السياسه فى مجتمع ما ، تعمل بنفس النظام البيولوجى حيث نظام متكامل ، وعلى درجة من التعقيد ، للكائن الحى ، واستبعاد اى نظام فرعى ، او جزء ، يعرض حياة النظام ، وبقائه ، للخطر[٨٥] .

ويفترض ان المطالب ، المدخلات ، يشعر بها صانعوا القرارات الحكوميه ، الذين يدخلونها فى اعتبارهم عند عملية اتخاذ القرارات ، والسياسات ، السلطويه ،

وهذه القرارات تلقى بتاثيراتها فى البيئه الاقتصاديه والاجتماعيه والسياسيه . وهى قد تحظى ، اولا تحظى بميل وتعاطف المواطنين . والمواطنون يعبرون ثانيه عن مطالبهم من جديد ، وتعد هذه التغذيه الراجعه ذات اهمية محوريه لانها ترتبط بالنظام ، وقد توجهه الى ان يعدل قراراته وسياساته المبكره . وهنا يثور تساؤل : هل ينطبق نموذج النظم فى كل الحالات ، ام انه يفشل احيانا ، فى ظل نظم كتلك التى كان يقودها هتلر او ستالين ، بعباره اخرى ، كم من الاهتمام يمنحه الدكتاتور لمطالب مواطنيه ؟

لاشك ان هذه الانتقادات تمثل اهميه كبيره ، ويبدو انها توجه ، بوجه خاص ، الى المفهوم الغامض لعملية التحويل ، او التفاعل داخل النظام ، او مايعرف بالصندوق الاسود(٨٦) . وتقود هذه الانتقادات بعض الكتاب الى محاولة تعديل لنموذج النظام ، الذى طرحته كتابات ايستون اساسا ، لتعكس واقعا افضل ، بحيث توضع عملية التحويل للحكومة فى البدايه ، وليس المواطنون وما يمثلونه من مطالب وتاييد ، لانه قد لا يكون واقعيا فى كل الحالات ان يبدا النموذج بحركه وتفاعل المواطنين ، ثم يستجيب الزعماء ، وهذا النموذج المعدل يفيد فى الملاءمه مع الحقيقه المتغيره دائما . ويوضح الشكل التالى هذا النموذج المعدل(٨٧) :-

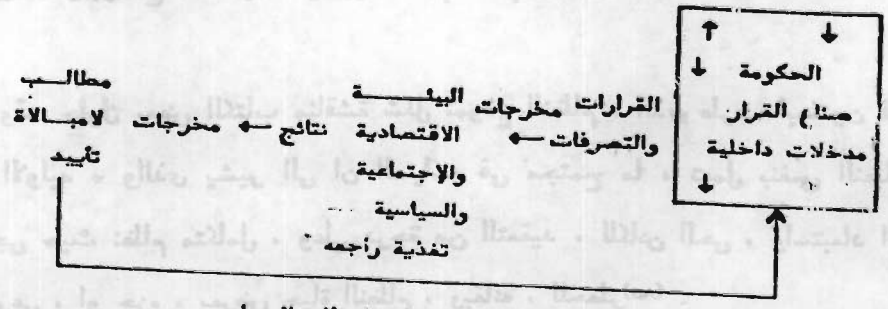

النموذج المعدل للنظام السياسى

من ناحية اخرى فإن اهتمام إيستون بالحدود قد اثار انتقادات اخرى ، وتساؤلات : كيف يمكن التمييز بين النظام السياسى ، والنظم السياسية الأخرى الإقتصادية او الثقافية او الإجتماعية ؟ وما إمكانية تناول ، وتفسير ، النتائج السياسية دون إشارة إلى الظواهر الإقتصادية والثقافية والإجتماعية المرتبطة بها ؟

وتثير مسالة الحدود صعوبات تحليلية ، خصوصاً بالنظر إلى النظم المتشابكة والمتداخلة ، والمديدة ، للفعل او الحركة ، والتى يصعب الفصل الواضح بينها . فضلاً عن مشكلة التاكيد على نظام واحد دون غيره من جانب بعض محللى النظم ، مثلا برسونز الذى افترض ان النظام الاجتماعى هو الأساس ، وانه يتضمن النظم الأخرى ، وهربرت سبيرو الذى يؤكد على النظام السياسى .

يضاف إلى ذلك مشكلة اخرى تتعلق بإمكانية فصل النظام ، عن النظم الفرعية ، وقد تفوق هذه المشكلة فى بعض الحالات المشكلات المجردة الأخرى ، وقد تفوق مشكلة تمييز النظام عن بيئاته المحيطة به . ويرى البعض ان إيستون لم يستطع ان يميز بين ما هو سياسى وما هو غير سياسى ، لذا فإن إبتعاده عن حل مشكلة الحدود بدا واضحاً[٧٤] .

كما تجنب إيستون العنصر الإنسانى فى تحليلاته ، التى تركز إهتمامها على الحركة والتفاعل ، والسلوك ، ولم تهتم إلا بشكل محدود ، بالشعب . ولعل إيستون بسبب حاجته إلى مفاهيم التماثل والعمومية قد إستبعد الأفراد ككيانات بيولوجية من النظام السياسى ، فالنظام ليس بالتاكيد مكون من مجموعة افراد ، إنه نظام للسلوك ، فهو بمثابة مجموعة من " التفاعلات الملائمة " ، ولم يمنح إيستون الشعب ، والجماعات ، إهتماماً لائقاً[٧٥] .

ثانيا : إنتقادات تتعلق بالإمكانيات الاجرائية

فالإطار الذى قدمه إيستون لم تتوافر فيه مقومات النظرية . بل ويشكك بعض الكتاب ، امثال هولت وريتشاردسون ، فى إعتباره نموذجاً ، كما سبق توضيحه ، فاطار النظام لدى إيستون يتضمن فحسب بعض التعميمات ، وهو يتضمن عدد قليل من الإفتراضات ، إن جدت اصلاً ، القابلة للاختبار(٧٦) . لكن رغم ان النتائج الإمبيريقية ، والتاثير على السياسة المقارنة ، لهذا الأطار ، كان محدوداً ، فإن افكار إيستون كان لها تاثيرها على دراسة علم السياسة .

وقد حدد جون استن الاطار الذى يستخدمه إيستون بإعتباره يرتبط بإقترابين ، سبق توضيحهما ، الأول ميكانيكى يرجع اساساً إلى نيوتن ، وهو منهج تحليلى يستند إلى صحة التفسير الذى يربط بين السبب وما يترتب عليه من اثر محدد ، والثانى بيلوجى او عضوى ، ويرجع الى وجهة نظر كانت شائعة بين كثير من علماء الأحياء(٧٧) .

وهناك من يرى ان النظام لدى إيستون يماثل تقريبا النظام عند علماء التشريح ، الذين يعمدون إلى تفتيت الكائن الحى إلى نظم للتنفس ، وللهضم ، وللتناسل ، وغيرها من نظم . والجمع بين المنهجين ، البيولوجى والميكانيكى ، معناه رؤية النوع من الآلة التى تعيش على قيد الحياة ، او الآلة التى تحيا ، وهى رؤية علماء الأحياء لميكانيكا نيوتن(٧٨) .

ويعتقد بول كريس ان رؤية إيستون لعلم السياسة رؤية إصطناعية ، او زائفه ، للنظام ، وللعضو فى هذا النظام ، ويصفها بانها جوفاء ، او فارغة ، وتفتقر إلى اى جوهر او مضمون(٧٩) .

ثالثا : إنتقادات تناول التوجهات الايديولوجية

إذا ما تتبع الباحث ، ونقب ، عن الأسس والتوجهات الإيديولوجية ، للأطار النظرى ، او النظرية ، او النموذج ، الذى حاول ديفيد إيستون الوصول إليه وبلورته ، وإذا ما حاول الباحث تتبع تطور افكار ومعالجات إيستون ، فى إتجاه نظرته الشاملة لعلم السياسة ، فإن هناك بعض الإنتقادات التى يمكن تحديدها بناء على ذلك .

فلقد جاءت محاولة إيستون فى اطار أزمة فكرية وثقافية فى العالم الغربى ، واهتم إيستون بوجه خاص بالضعف ، او الإنحسار الوشيك للديمقراطية الليبرالية ، واعتبر ان علم السياسة يمكن ان يقدم ، بإعتباره علما تطبيقياً نظاماً للإصلاح ، وفى الوقت ذاته وجه إيستون اللوم إلى المدرسة التاريخية ، لإفتقارها إلى نظرية سياسية(٨٨) .

وقد اشار إيستون إلى نظرية القيم للمدرسة التاريخية ، وهاجم فكرة النمط المثالى لماكس فيبر ، التى تستخدم العلم الاجتماعى ، المتحرر من القيم ، وإعترف فى الوقت ذاته باهمية النظرية السببية ، او العلمية ، واعتبر ان النظرية السببية ونظرية القيم مرتبطان بعضهما ببعض ، ولا يمكن الفصل بينهما(٨٩) .

وفى كتاباته المبكره - ١٩٥٣ - اكد إيستون على العلم ، والنظرية السببيه ، وفى كتاباته المتتابعه بعد ذلك ، اصبح اكثر تفاؤلا بشان جوانب وإمكانيات لعلم سياسة حقيقى ، واخذ تاثير المدرسة السلوكية يتزايد على كتابات ديفيد إيستون ، وافكاره ، ليدعم من هذا التفاؤل ، ويعززه ، بشكل متزايد ، واخذت تتناقص اهمية نظرية القيم فى فكره نسبياً .

لقد تضمنت المرحلة المبكرة من كتابات إيستون وصفاً وتصويراً لعناصر إطاره النظمي ، وصاحب هذه المرحلة التكوينية لفكره فصلاً بين النظرية والفكر ، وبين الممارسة والواقع ، وميز إيستون في هذه المرحلة بين تحليل النظم ، والتحليل الوظيفي ، فالأول يفترض إن النظام يبقى ، بينما يأخذ في التحول والتكيف بشكل خلاق ، والثاني يتضمن شروطاً تتضمن نوعاً من الاستقرار والتوازن والتماسك . وتعتبر بعض الدراسات ان تاكيد إيستون مرة اخرى ، في عام ١٩٦٩(٩٠) ، على البحث التطبيقي ، وعلى الإهتمام بالإفتراضات القيمية في البحث ، يعني تحول إيستون مجدداً إلى المرحلة المبكرة من كتاباته السابقة(٩١) .

وتصل مثل هذه الدراسات إلى إن إيستون قد اخفق في تحديد هدف المعالجة السياسية ، واخفق في ان يقدم تعريفا ملائماً للمجتمع ، واخفق في التعامل مع التغير السياسي ، ومعالجته ، في لغة ، وصيغة اخرى ، غير لغة التجريد ، والتي قادته إلى نتيجة ذات طابع غير إنساني(٩٢) . لقد بالغت تحليلات إيستون في التمثيل بعلم الإحياء ، إلى درجة دفعت البعض إلى التساؤل عما إذا كان التحليل النظمي بمثابة نوع من التطبيق لعلم الإحياء على علم السياسة ، او ما يسميه البعض بعلم البيولوجيا السياسية ، وعما إذا كان يهتم بمسائل سياسية في طبيعتها ؟ إن من الضروري التمييز بين المشكلة البيولوجية لقضايا : كيف نحيا ؟ وكيف تستمر الحياة ؟ وبين المشكلة الأخلاقية لطريقة الحياة التي يجب ان يختارها الإنسان . إن ما هو سياسي ينبغي فهمه بالتمثيل والتناظر مع علم الأخلاق ، وليس مع علم الأحياء(٩٣) .

ولقد وجهت إنتقادات إلى المنهج الذي استخدمه إيستون بإعتباره غامض ، ويبدو ان إيستون قد خلق وعياً وإهتماماً بالمدرسة التاريخية ، لكن يبدو ايضاً انه وافق على التقليد الوضعي الذي يرى ان العلوم الاجتماعية يمكنها ان ترسي معرفة نظرية يمكن الإعتماد عليها ، بتكون صحيحة موضوعياً ، إذا ما جرى اختبارها لإثبات صحتها(٩٤) .

ثانيا : تحليل النظم فى تطبيقات أخرى

يتناول البحث التطبيقات الأخرى لتحليل النظم ، والتى قام بها علماء آخرون ، غير ديفيد إيستون ، وبوجه خاص كل من كارل دويتش ، وهربرت سبيرو ، ومورتن كابلن .

أ - تحليل النظم عند كارل دويتش

حاول كارل دويتش ان يقدم ، فى تحديد واضح متميز للمفاهيم الأساسية التى إستخدمها ، اكثر من مجرد " وجهة نظر أوجسد للأفكار والافتراضات الأولية " ، من خلال التوليف بين نظرية الاتصالات ، والنظرية السياسية ، فى محاولته لطرح اساس للمقارنة بين قنوات الإتصال المعقدة فى المجتمع الحديث ، بالنظام العصبى للجسد .

والحقيقة إن ما قدمه دويتش يحظى بتقدير كبير من العديد من الباحثين ، والذين منهم من اشار إلى ان دويتش ذاته لم يكن عادلاً فى تقييم منهجه ، ووضعه فى مكانته اللائقه به(٩٦) .

وقد قام دويتش بمسح لأدبيات النظرية السياسية الكلاسيكية ، ثم تحول إلى دراسة المنهج ، والميكانيزم الذى يطبق فى علوم الفلك والجاذبية ، وغيرها من مناهج ، وإكتشف ان فكرة النمو والتطور ، وافكار كالأبتكار وغيرها كانت موضع تجاهل ، واستبعدت تماماً ، فى الأدبيات الكلاسيكية ، التى تناولت دراسة الكائن العضوى الحى ، وهى الدراسة التى خضعت لاعادة صياغة ، وتنقية وتطوير لمرات عديدة ، من جانب علماء الأحياء المعاصرين ، الأمر الذى سمح بتحديد نقاط للمناقشة ، وتتابع الخطى ، كالتغذية الراجعه ، وغيرها من مفاهيم اصبحت ذات مغزى هام فى النظرية العامة للنظم ، وفى نماذج الاتصال(٩٧) .

كذلك تعرف دويتش على مفهوم آخر يرتبط باهمية الخبرة التاريخية ، وما تتضمنه من صراع او حوار ، والتى تناولتها فى صياغة قوية ومحكمة كتابات هيجل وماركس فى القرن التاسع عشر ، وتوينبى فى القرن العشرين .

كذلك ناقش دويتش مدلولات واهمية النماذج الجديدة فى العلوم الاجتماعية ، وما قدمته مساهمات ماكس فيبر ، ثم تحول إلى التحليل البنائى الوظيفى ، واهتم بنظرية المباريات ، ونظريات صنع القرار ، وما تتضمنه من افتراضات ، وقد حاول دويتش ان يقدم تحليلات لتشمل علم السياسة باكمله ، سواء فى تناوله للمجالات الداخلية او الدولية(٩٨) .

وركز دويتش على إستخدام مفاهيم السبرناتيقا - والتى تعرف بانها علم الاتصال والتحكم او الضبط - خصوصاً تلك المرتبطة بصنع القرار.

وفى الواقع فإن التوسع فى مفهوم النظام قد غذته ، وساعدته كثيرا ، نظرية السبرناتيقا ، والثورة السبرناتيقية(٩٩) ، حيث يمكن استخدام مفهوم النظام لكى يطبق على الدولة - الأمة ككل ، بإستخدام مفاهيم واضحة محددة لا تثور حولها شكوك ، وحيث الدراسة النظامية تدور حول الاتصال والتحكم فى مختلف انواع التنظيمات ، ومن وجهة نظر السبرناتيقا ، فإنه يفترض بأن كل التنظيمات متشابهة فى سمات اساسية ، وكل من هذه التنظيمات يتكون من عناصر يجمع الاتصال بينها فى شكل متماسك .

وفق ما ذهب إليه دويتش فإن الحكومة تعتبر ضمن هذه التنظيمات ، مما يبرز الأهمية المركزية لتلك المفاهيم فى التحليل السياسى(١٠٠) .

لقد جاءت تحليلات دويتش مستنده إلى مفاهيم السبرناتيقا للإتصال والتحكم .

والذاكرة والادراك . والتغذية الراجعة . والتوازن . وراجع دويتش مفهوم علم السياسة باعتباره " توجيه أو تحريك للسلوك الإنساني "(١٠٠) . ولذلك فمن الممكن ان يصاغ علم السياسة من خلال تلك العمليات للاتصال والذاكرة والتغذية الراجعة وغيرها .

وقد أعتبر دويتش الذات الفردية هى النسق الأصغر . فى علم السياسة . فالفرد . وما يضمه الجسد من ذاكره ودوافع وتعقيدات . هذا النسق الطبيعى والسيكولوجى للذات الفردية موضع لدراسة الأطباء وعلماء النفس وغيرهم . والنسق الأصغر الذى يلى الذات الفردية هو الأسرة . وغيرها مما يسمى بالجماعات الأولية - والتى يتراوح عدد اعضائها ما بين عضوين إلى ١٥ عضوا - وغالبا" ما تخضع مثل هذه الجماعات لدراسات علماء الاجتماع والنفس وخبراء الادارة(١٠٢) .

إن التنظيمات ينظر إليها . بشكل عام . كنظم للمعلومات . والتى تمثل علاقة نمطية بين الأحداث . والاتصال هو تحول لتلك العلاقات النمطية . والقنوات هى ممرات او مسارات من خلالها تتحول المعلومات .

وهذه المفاهيم الثلاثة : المعلومات والاتصال والقنوات تشكل اساسا" لتحليلات دويتش . فى نظام لعملية الاتصال . ويفترض دويتش إن هذا النظام مزود بادوات او اسلحة للضبط والتحكم . او لإرشاد النسق . ومنظم لضبط الحركة .

فالنظام يمتلك المعلومات . سواء كان مصدرها من داخل او من خارج النظام(١٠٣) . حول اهداف وحالات معينة . لانجازها . وهذه الأهداف قد تشير إلى بقاء واستمرارية النظام ذاته . بمعنى تقييد المتغيرات داخل حدود . او قيود معينة . كما قد تشير الأهداف إلى نوع - اكثر إيجابية . بمعنى إن إنجاز مجموعة من هذه الأهداف والحالات لا يرتبط مباشرة بمجرد بقاء النظام . وإنما اكثر من مجرد بقائه واستمراريته .

وعندما يكون النظام فى حالة تختلف عن هدف معين ، فإن اشارة خطأ سوف تتولد . وتقوم الميكانيزمات الداخلية للنظام - فى مفهوم كارل دويتش - بمجاراة ومقارنة إشارة الخطأ مع الذاكره ، وهى الذاكره التى تتضمن معلومات حول حالة النظام ، وسلوك وخبرات تم تعلمها مسبقاً ، فى حدود ما يتمتع به النظام من مقدرة فى ذلك .

وينتج عن هذه العملية للمقارنة ، المبادرة بحركة تصحيحية ، وهذا يقودنا إلى مفهوم التغذية الراجعة . ذلك أن شبكة التغذية الراجعة(١٠٤) حول تأثير الحركات التصحيحية السابقة ، وما ترتب عليها من نتائج . وهكذا فإن المعلومات تؤثر فى توليد إضافات تصحيحية جديدة ، فى عملية ديناميكية مستمرة ، حتى يتحقق الهدف ، فى اطار نوع من التوجيه الذاتى .

وعلاقة النظام بالبيئة محورية فى فهم التغير ، وقد ميز دويتش بين نوعين من البيئة ، هما البيئة الخارجية : بمعنى العالم الخارجى للنظام ، والبيئة الداخلية : اى العالم الداخلى للنظام ذاته ، وهذه قد تكون أقل وضوحاً من البيئة الخارجية ، لكن تاثيرها يمكن أن يكون حاسماً فى طريقة عمل النسق(١٠٥) . كما اشار دويتش الى الحدود التى تفصل النظام السياسى عن البيئة المحيطة به ، وهذه الحدود قد تكون فى شكل خطوط فاصلة ، او مناطق حدودية(١٠٦) .

واعتبر دويتش النظام السياسى جزء من النظام الاجتماعى ، وقد اشار الى وظائف النظم الاجتماعية ، وفقاً لعالم الاجتماع تالكوت برسونز ، والذى اوضح أن هناك اربعة وظائف اساسية لكل نظام إجتماعى ، أولها : تتعلق بالحفاظ على النظام وما يمثله من انماط اساسية خاصة به ، وخصوصا انماط الحكم والضبط ، وثانيها يتعلق بتكيف النظام مع الظروف المتغيرة ، سواء كان مصدرها البيئة الطبيعية ، او البيئة البشرية بمعنى النظم الأخرى ، وثالثها : تتعلق بتكامل وظائفه او مهامه المختلفة

ورابعها : تتعلق بالأهداف التى تتجاوز مجرد الحفاظ على انماط النظام ، وتكيفها وتكاملها ، ويجب التحرك لإنجاز وبلوغ هذه الأهداف .

ويؤكد دويتش أن فحص ودراسة هذه الوظائف الأساسية الأربعة للنظام الإجتماعى ، كما يتصورها برسونز ، توفر امكانية التعرف على السياسة ، والنظم الفرعية فى المجتمع ، فى سياق هذه الوظائف(١٠٦) .

فالحفاظ على انماط المجتمع - الوظيفة الأولى - يقوم بها نظم فرعية او فاعلون كثيرون ، لكن النظام الفرعى الذى يكرس اكثر الموارد والوقت من اجل هذه الوظيفة ، هى الأسرة او العائلة ، والتى تحافظ على إنتقال الثقافة ، وعلى حياة افراد المجتمع وتلبية مختلف حاجاتهم . اما النظام الفرعى الذى يكرس إهتماماً أكثر لوظيفة التكيف ، فهو النظام الإقتصادى ، حيث تيسر الأنشطة الاقتصادية عملية تحويل الموارد الطبيعية ، من خلال العلم والتكنولوجيا ، وما تمثله من شركات ومؤسسات مختلفة ، إلى سلع وخدمات وغيرها مما يلبى حاجات المجتمع . اما النظام الفرعى الذى يلبى وظيفة التكامل ، فإنه يتمثل فى النظام الثقافى اساساً ، بما يضمه من جوانب ومؤسسات للتعليم والدين والفكر والفلسفة . اما النظام الفرعى فى المجتمع الذى يرتبط بوظيفة احراز الأهداف وتحقيقها ، فهو الحكومة ، او النظام السياسى بشكل عام . فالحكومة هى التى تنظم المجتمع من اجل تحقيق ومتابعة الأهداف التى اختارها المجتمع . وهذا يتضمن تصوراً لترتيب او مخطط لهذه الأهداف ، وإيجاد الوسائل لتنفيذها ، او الطريق نحو بلوغها(١٠٧) .

ويؤكد دويتش على علاقات الاعتماد المتبادل بين هذه النظم الفرعية ، والتغيرات فيما بينها ، فافراد الأسرة يرتبطون بأدوار فى النظام الاقتصادى ، والتعليمى والسياسى(١٠٨) .

وهذه النظم الفرعية الأربعة ، وفقا لبرسونز ، توجد فى كل النظم الاجتماعية المعروفة . إلا ان الوظائف الأربعة التى تؤديها هذه النظم الفرعية تتعلق بحفظ وابقاء المجتمعات كما هى ، ولا تشير بالدرجة الكافية إلى طريقة التغير التى تسلكها المجتمعات . ويبدو أن برسونز - فى رأى كارل دويتش - يفترض بان كل النظم الإجتماعية تميل إلى التصرف وفق الطريقة التى بدأت بها وتأسست عليها . بينما من المعروف الان ان العديد من النظم الاجتماعية فى العالم قد تغير ، وبعضها واجه تغيرات بالفعل(١٠٩) .

لذلك يقدم دويتش وظيفتين رئيسيتين ، إلى جانب الوظائف الأربعة التى اشار اليها فى كتابات برسونز ، وهما وظيفتان هامتان بالنسبة للنظم التى يشكل التغير جانباً اساسياً من سلوكها :

اولاهما : وظيفة تغير الأهداف ، بمعنى ان النظم لا تتابع فحسب الأهداف القديمة ، وإنما قد تتخلى ، من وقت لآخر ، عن الأهداف القديمة لتحل محلها اهداف جديدة .

وثانيهما : وظيفة التحوّل الذاتى ، فالنظام قد يعمد إلى تغيير وتحوّل فى جانب من بنيته التى قد يكون التغير فيها بطيئاً نسبياً ، اى ان التغير لا يتناول فحسب الأهداف ، بل قد يتناول الأبنية الأساسية المختلفة ، وانماط السلوك فى النظام ، وإن كانت العناصر الهامة فى هويتها قد تظل دون تغير(١١٠) .

وهذا التعديل الاضافى الذى اشار اليه دويتش فى تحليل النظم لدى برسونز قد يجعل من الممكن - فى رأى دويتش - استنتاج تلك الوظائف الأساسية للتغيرالسياسى والاجتماعى . وتغير الأهداف والتحول الذاتى يرتبطان دائماً بمشكلة تكامل المجتمع .

فالنظام الاجتماعى يغير اهدافه ، وبنيته الداخلية لأن بعض العناصر او الوظائف بداخله لم تعد متوافقة مع العناصر او الوظائف الأخرى . ولأن النظام لم يعد قادراً على ان يحيا ، مع نفسه او مع بيئته ، فإنه يبدأ فى تغيير اهدافه ، او التحول فى ابنيته . ولذلك فإن تغيير الأهداف والتحول الذاتى تمثل جوانب أكثر تعقيداً للوظيفة الأساسية للتكامل(١١١) . ويعتبر دويتش ان أحد السمات او الخصائص الهامة للنظم السياسية ، وربما اهمها جميعا ، هى قدرتها على " التوجيه الذاتى " او الاستقلال ، وهى القدرة التى تجعل الحكومات ، والجماعات السياسية تتمتع بالحيوية والفاعلية(١١٢) .

وتلعب الذاكرة وظيفة هامة فى هذا التوجيه الذاتى ، والاستقلال للنظام ، فهى تعمل على تخزين المعلومات او الرسائل الحالية ، واستدعاء المعلومات السابق تخزينها ، ومقابلة او مقارنة ومجاراة المعلومات كما سبق الإشارة(١١٣) . وإمتلاك الذاكرة يعنى فى رأى دويتش توافر مصدر للهوية والاستقلال(١١٤) .

فالهوية ، فى رأى دويتش ، هى إدراك ووعى للذاكرة الخاصة لفاعل ، فرد او جماعة ، ولذات ، إنها المقدرة على تذكر ان المرء يستطيع ان يتذكر . " إن هذا هو انا ، نفسى " يقول الفرد . " إن هذا هو نحن ، انفسنا " يقول اعضاء الجماعة الذين لديهم شعور او احساس بهويتها ، وإنطلاقاً من هذا الشعور بهوية الجماعة فإنه يعتبر مجرد خطوة اولية لتحقيق تفضيلات سياسية ، ولإتخاذ تصرفات سياسية .

والذاكرة تصبح ايضاً مصدراً للاستقلال ، بمعنى القدرة على تطبيق المعلومات ، من الماضى على قرارات فى الحاضر . وبدون الذاكره ، وبدون ماضى فعّال ، لا يمكن ان يوجد إستقلال . ولتحقيق إستقلال كامل يجب ان تتوافر ذاكره ، لتخزين المعلومات السابقة ، والتى يمكن إستدعائها ، وتغذيتها عكسيا للقرارات فى الحاضر ، ومن الضرورى توافر شبكة التغذية الراجعة(١١٥) .

وشبكة التغذية الراجعة ليست إلا شبكة من شبكات الإتصال التى عن طريقها يمكن للنظام استكشاف مدى الاقتراب ، او الابتعاد ، عن الهدف ، وتقوم هذه الشبكة بتغذية النظام بشكل دائم بالمعلومات ، ليتكيف النظام من جديد ، وفق هذه المعلومات التى يتم تنقيتها ، محاولاً تحقيق الهدف ، والتحكم الذاتى بشكل يضمن نوع من التوازن . كما توفر هذه الشبكة إمكانية تعلم النظام ، المعلومات السابقة ، ويتم إتخاذ القرار بناء على المعلومات المتاحة حتى لحظة إتخاذ هذا القرار(١١٦) .

كما تناول دويتش بالتحليل مفهوم الانجاز ، ومحصلة عمل النظام السياسى ، والنتائج التى تحققت فعلاً من خلال سلوك وحركة النظام ، آخذاً فى إعتباره مقدار التكلفة التى تحملها النظام فى سبيل احراز وتحقيق هذه النتائج(١١٧) . كذلك تناول اهمية متابعة النظام ، وتحقيقه ، للقيم التى يتطلع إليها الشعب فى الوقت الحاضر ، وقدرته على متابعة قيم جديده ، فى المستقبل ، وربط دويتش ذلك بمستويات الحياة فى المجتمع ، وبالزعماء ، والثقافة السياسية السائدة ونمط السلطة السياسية(١١٨) .

وقد لاحظ ان ثمة اربعة إنماط للنظم السياسية ، فهناك نظم مدمرة لذاتها ، وهى نظم تتفكك عادة وتتحلل فى بيئاتها ، ونظم من غير الممكن ان تحيا ، فهى غير قابلة للحياة ، وتصادف صعوبات تحول دون بقائها واستمراريتها فى بيئاتها . ونظم قادرة على ان تحيا ، ويرجح لها ان تستطيع البقاء على قيد الحياة فى ظل ظروف بيئاتها . ونظم مطورة لذاتها ، والتى تتمتع بإحتمال اعظم واقوى لأن تبقى وتحيا وتتغلب على ظروف البيئة(١١٩) .

ويعتبر هولت وريتشاردسون إن تحليلات كارل دويتش تحمل ، على الأقل جزئياً ، عناصر ومتطلبات النموذج العلمى(١٢٠) ، و إن كان هناك من يرى ان دويتش لم يحكم صياغة لنظرية النظم بشكل كامل ، بالرغم من ان دويتش قد رأى بوضوح تطورات متوازية فى علم الأحياء ، وفى العلوم الاجتماعية(١٢١) .

ومتابعة تحليلات دويتش توفر للباحث السياسى العديد من الأفكار والافتراضات ، حول قضايا الفاعلية وكفاءة النظام ، والتوازن ، والاستقرار ، وتنظيم الحكومة ، وايضاً الادارة ، والقومية وغيرها من افكار تناولها بأسلوب تحليلى متميز(١٢٢) .

وهناك من يعتقد ان كتابات دويتش ، والتى إتسعت إلى مجالات علم السياسة المختلفة ، بما فيها القيم ، والعلاقات الدولية ، وغيرها ... لا تقدم محاولة جادة لبلورة نموذج او نظرية محددة ، وإنما تقدم فحسب مجموعة من المقدمات والمبادىء الأساسية ، كالمعلومات والإتصال والقنوات والذاكره ... والتى يمكن ان تقود إلى نموذج ، او إلى بلورة إفتراضات اكثر احكاماً ، حول وصف وتحليل الحكومة ، والحياة السياسية ، وإن كتابات دويتش تحمل ، على الأقل بشكل عام ، افتراضاً بان الظاهرة السياسية يمكن تفسيرها من خلال مثل هذا النموذج ، الذى يمكن تطويره وبلورته(١٢٣) .

ويعتقد هولت وريتشاردسون إن إستخدام مثل هذا النموذج يتطلب بحثا طويلاً ، وادوات منهجية ، وجهداً مكثفاً . ويشيران إلى ان القضايا المركزية التى يجب ان يتضمنها النموذج الناجح ، لم تكن ، على ما يبدو ، فى حسبان دويتش ، واهتمامه الجاد ، عندما قام بمحاولته(١٢٤) .

ب - نموذج هربرت سبيرو

إستمد هربرت سبيرو ، تصوره الشامل للسياسة المقارنة ، من كتابات إيستون المبكرة حول النظام السياسى(١٢٥) ، ويحدد سبيرو النظام السياسى بإعتباره جماعة او مجتمع يرتبط بعمليات لصياغة ومعالجة القضايا ، وهى قضايا ترتبط بالمشكلات وبالحاجات ، وبالأهداف ، والتى قد يثور بشانها الاتفاق او الإختلاف(١٢٦) .

وقد اعتبر سبيرو السياسة بانها العملية التى من خلالها يعالج المجتمع مشكلاته . فالمجتمع يضم الشعب الذى يكون على وعى بالأهداف العامة ، المنشودة ، والمشكلات تشكل عقبات فى الطريق نحو الأهداف ، وهى فى حاجة إلى الإعتراف بها لكى تصبح حيّة ، وملائمة سياسياً ، وإذا ما وجد إتفاق تام فى المجتمع بشان مشكلة ما ، بعد ان يكون قد تم الاعتراف بها ، فمثل هذه الحالة لا تحمل طابع السياسة(١٢٧) .

وفى هذا المعنى فإن المجتمع ، او الجماعة(١٢٨) ، الذى يتفق اعضاؤه دائماً حول مشكلات لا يشكل نظاماً سياسياً . ومثل هذا المجتمع قليل الوجود نسبياً ، إن وجد اصلاً ، لأن اغلب المجتمعات تشكل فى الواقع نظم سياسية . ففى كل المجتمعات تقريباً تحدث الخلافات لتمثل " قضايا " ، ومن ثم فالنظام السياسى يرتبط بمثل هذه المجتمعات ، حيث خلافات ، وتطوير للقضايا(١٢٩) .

الشرط او المتطلب الأساسى للنظام السياسى هو الإختلاف ، فالسياسة ترتبط بوجود تلك المظاهر من خلافات ، قد تكون ضيقة او واسعة ، مرنة او جامدة .

إن اى مشكلة تدخل إلى عالم السياسة ، حالما إعترف اعضاء المجتمع بها ، وإختلفوا بشانها ، وتغادره عندما تحل المشكلة ، ويتم الاعتراف بهذا الحل . وبين بداية ونهاية هذه العملية فإن القضية ، او القضايا التى تولدها او تفرزها المشكلة تمر عبر مراحل ، تتتابع خلالها السياسة . ، ويأخذ هذا الانسياب المتتابع للمراحل الآتية :-

(١) صياغة القضايا ، وتتم عقب ان يتم التعرف على مشكلة ما ، بإعتبارها قضية او مسالة ، وتتحدد الأهداف التى تمهد للحل .

(٢) احكام الصياغة ، وترتبط هذه المرحلة بتمحيص ودراسة الحلول البديلة للمشكلة .

(٣) التمهيد للحل ، وتتضمن تضييق هذه الحلول البديلة ، إلى ان تتحول إلى بديل واحد او سياسة وقرار واحد .

«٤» حل المشكلة ، بمعنى تحقيق الأهداف المحددة منذ البداية ، والاعتراف بهذا الحل(١٣٠) .

ولأن المشكلات هى عقبات تقف فى طريق الأهداف ، فإن الاختلافات قد تكون حول جوهر الأهداف ، أو الاجراءات المستخدمة للإقتراب منها . والقضايا ينظر إليها على أنها تتضمن مسائل أساسية طويلة المدى ، أو مسائل ظرفية قصيرة المدى .

ويمكن تمثيل هذه المشكلات والمسائل فى شكل ، يوضح المحور الراسى فيه : المشكلات الإجرائية ، والجوهرية ، ويمثل المحور الأفقى : المسائل الظرفية قصيرة المدى ، والمسائل الأساسية طويلة المدى ، على النحو الآتى :-

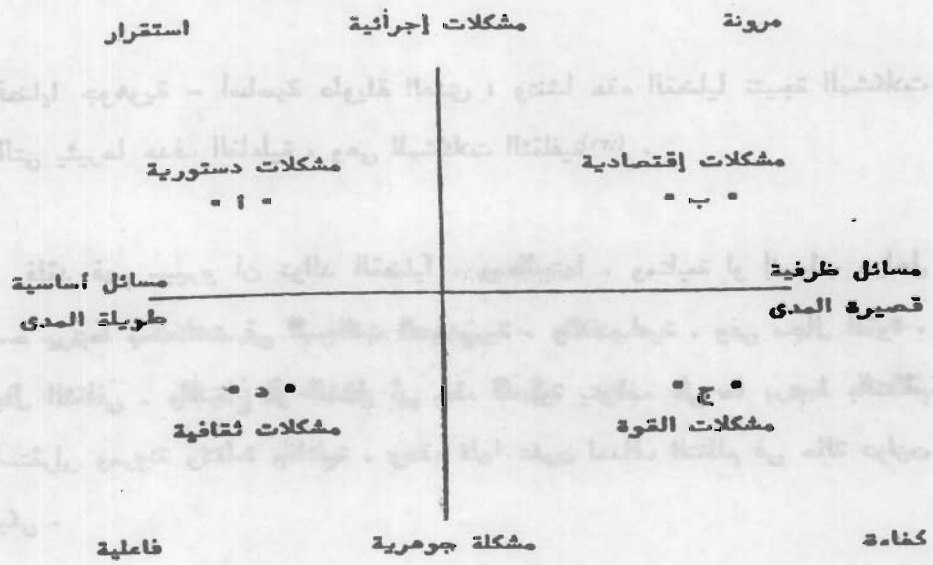

ففى كل نظام ، فإن بعض القضايا تنشأ ، وفق أربعة مجموعات على النحو الآتى :-

(١) قضايا إجرائية - أساسية طويلة المدى ، وتنشأ هذه القضايا نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف الإستقرار ، وهى المشكلات الدستورية .

(٢) قضايا إجرائية - ظرفية قصيرة المدى ، وتتولد هذه القضايا نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف المرونة ، أى المشكلات الاقتصادية فى المجتمعات الحديثة والآخذة فى النمو .

(٣) قضايا جوهرية - ظرفية قصيرة المدى ، وتنشأ نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف الكفاءة ، وهى مشكلات القوة .

(٤) قضايا جوهرية - أساسية طويلة المدى ، وتنشأ هذه القضايا نتيجة المشكلات التى يثيرها هدف الفاعلية ، وهى المشكلات الثقافية(١٣١) .

فلقد فهم سبيرو أن توالد القضايا ، ومعالجتها ، ومتابعة أو إنسياب مراحل السياسة يرتبط بمشاكل فى البيئة الدستورية ، والاقتصادية ، وفى مجال القوة ، والمجال الثقافى . والنجاح أو الفشل فى حل القضايا يرتبط بما يرتبط بالنظام من استقرار ومرونة وكفاءة وفاعلية ، وهذه كلها تكون أهداف النظام فى حالة توازن ديناميكى .

فالنجاح النسبى للنظم السياسية ، أو للنظام السياسى فى مراحل مختلفة من تطوره ، يمكن الوقوف عليه ، بواسطة الدرجة التى يحرزها النظام فى ادارة ، واستمرارية ، توازن ديناميكى ، بين الأهداف الاربعة : الإستقرار ، والمرونة ، والكفاءة ، والفاعلية(١٣٢) .

والنظام السياسى المتوازن ، بدرجة أو بأخرى من درجات التوازن ، والذى يلتزم أعضاؤه بهدفه الاستقرار ، يثير عدد أكبر من القضايا المرتبطة بهدف الاستقرار ، ويكون النمط السياسى ، للنظام الفرعى الذى يمثله هؤلاء الأعضاء ، له طابع شرعى ، وعلى نحو مماثل تكون الإنماط السياسية للبراجمات ، والعنف ، والإيديولوجية وهو ما يوضحه الرسم التالى فى الأشكال أ ، ب ، ج على التوالى(١٣٣) :

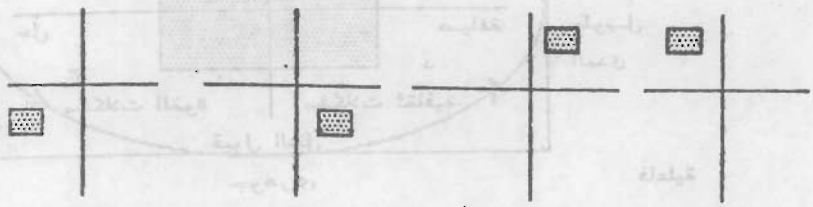

شكل أ — نظام فرعى نمطه السياسى الشرعية

شكل ب — نظام فرعى نمطة السياسى البرجماتية

شكل ج — نظام فرعى نمطه السياسى العنف

شكل د — نظام فرع نمطه السياسى الايديولوجية

ويمكن توضيح نموذج سبيرو الشامل للسياسة المقارنة فى الشكل الآتى :-

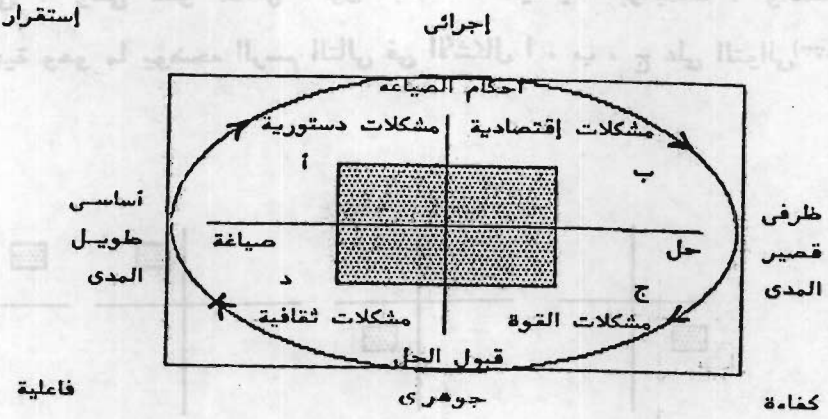

شكل بيانى للنظام فى حالة توازن ديناميكى

ويعتقد سبيرو فى أهمية هذا النموذج لما يرتبط به من مزايا ، أهمها :-

(١) انه يؤكد على نفس الجوانب فى أى نظامين أو اكثر من النظم السياسية يمكن مقارنتها .

(٢) إن اوجه التمايز بين النظم ، وفق هذا التصور ، لا يتطلب معالجة للجوانب الثقافية والاقتصادية والسياسية .

(٣) كما أن تقسيم الوظائف إلى فئات مستقلة يمكن ، وفق هذا النموذج ، تفاديه .

(٤) يمكن ان يطبق هذا النموذج على اى نظام سياسى ، مهما كان صغيراً او كبيراً ، متقدم او نامى .

اما عيوب هذا النموذج فقد توقعها سبيرو ، مسبقاً ، وتتلخص حول تعريف المجتمع ، ومعيار النظام السياسى الذى إستخدمه الكاتب ، وإهماله للمؤسسات السياسية كمؤسسات الرئاسة والبرلمانات والوزارات ، ودور الجماعات . كما اشار إلى انتقادات تتعلق بالعلاقة بين المجتمع والنظام السياسى ، فايهما له الأولوية ؟ هل المجتمع سابق على النظام السياسى فى المجتمع ؟ وتوقع تساؤلات حول المقارنة ، إذا تم قبول هذا النموذج ، وإمكانية إختلاف الباحثين حول طابع القضايا ، فهل تحمل قضية ما طابع العنف ، إم إنها ذات طابع براجماتى(١٣٥) ..

ويبدو ان اسبيرو قد عمد إلى المبالغة فى تبسيط الاختلافات بين النظم ، ولم يحاول ان يطبق محاولته بشكل نظامى على بيانات امبيريقية ، وقد لا توجد محاولات ، او كتابات ، حول هذه الامكانية ، الأمر الذى يجعل محاولة سبيرو مجرد مفاهيم سياسية مجرده حول النظم(١٣٦) .

ج - مورتن كابلن وتحليل النظم الدولية

هناك تطبيق آخر لنظرية النظم على السياسة الدولية ، قام به مورتن كابلن ، فى كتابه بعنوان " النظام والعملية ، فى السياسة الدولية "(١٣٧) والذى يشبه صياغة إيستون(١٣٨) . والفرضية التى يجعلها كابلن محوراً لكتابه هى ان " علم السياسة العلمى يمكن ان يتطور فقط عندما تجرى معالجة موضوعاته من خلال نظم للحركة "(١٣٩) ويقصد كابلن بنظام الحركة ، مجموعة من المتغيرات ترتبط فيها بينها ، وتتميز عن بيناتها ، ويمكن تحديد مظاهر للتماثل والتناسق السلوكى ، الذى يعد طابعاً مميزاً للعلاقات الداخلية للمتغيرات ، كل منها للآخر ، والعلاقات الخارجية ، لمجموعة من المتغيرات(١٤٠) .

وقد اشار كابلن إلى الاستقرار وعدم الاستقرار فى مناقشة تحول النظم ، وإفترض ان كل النظم تكون فى حالة توازن[١٤١] . وقام بتعيين حدود للنظام السياسى كجسد مكون من قواعد ، وحدد كابلن ستة انماط للنظم الدولية : هى نظام توازن القوى ، ونظام القطبية الثنائية المرن ، ونظام القطبية الثنائية الجامد ، والنظام العالمى ، والنظام التدرجى او الهيراركى ، ونظام الوحدة الاعتراضية[١٤٢] .

ويعتقد كابلن ان نظام الحركة هو مجموعة المتغيرات المترابطة ، والتى تصف الانتظامات السلوكية ، ويقصد بالانتظام العملية التى بواسطتها يحاول النظام الحفاظ على هويته ، والابقاء عليها عبر الزمن ، ومن خلال التكيف مع الظروف المتغيرة[١٤٣] فكل نظام له هويته ، ومن الضرورى وصف هذه الهوية فى الأوقات المختلفة ، بمعنى وصف الحالات المتتابعة للنظام ، والتغيرات التى تطرأ عليها[١٤٤] .

وقد تعرضت نظرية النظم فى السياسة الدولية لإنتقادات ، وجهت إلى اصول النظرية ، والتى ارتبطت بافكار مستعارة من كتابات علماء الأحياء ، وعلم إجتماع المعرفة ، وبالفلسفة الوضعية . كما ربطت هذه الانتقادات بين صياغة كابلن والكتابات المبكرة لديفيد إيستون .

وكان إيستون قد زعم ان اطار تحليله للنظم ممكن التطبيق على النظم الدولية ، لكن هذا الإدعاء تم تفنيده بواسطة دراسات عديدة[١٤٥] . وحاول البعض التمييز بين تحليل النظم ، ونظرية النظم ، على افتراض او تحليل النظم يرتبط بالتخطيط والبرمجة والميزانية كتكنيكات فى عملية صنع القرار للأداء الكفء للحكومة . أما نظرية النظم فإنها تمثل تجريداً للحقيقة ، وتحديدا للحدود ، وللنظم الفرعية ، وغيرها من مصطلحات إستخدامها إيستون وآخرون .

والحقيقة او صياغة كابلن للنظم فى السياسة الدولية ، والقواعد التى تعتبر

بمثابة متطلبات للنظم . اوجد تشابهاً بين مفهوم كابلن . الذى يقع ضمن نظرية النظم العامة . وبين المدرسة البنائية الوظيفية لبرسونز وآخرون . وهذه الصلة القريبة . والتشابه بين نظرية كابلن والتحليل البنائى الوظيفى جعل من الصعب تحديد اصول نظرية كابلن . وإن كان هذا لا يحول دون انتقاد النظرية ذاتها(١٤٦) . خصوصاً وان المجال مفتوح امام المزيد من الجهود(١٤٧) .

خاتمة

فى العقود الأخيره استخدم تحليل النظم ، بشكل متزايد ، وتداول واسع النطاق ، إلى درجة افقدت المصطلح الكثير من مضمونه ، وخصائصه وسماته الجوهريه (١٤٨) ، من هنا تجد دراسة تحليل النظم هدفها الأساسى ، وهو التوضيح والتفسير ، والرؤيه الانتقاديه الشامله ، وسبر امكانية الاستناد الى هذا التحليل فى التفسير ، والتنظيم ، وفى الفهم والتنبؤ .

والمصطلح له معانيه الدقيقه ، بدرجة أو بأخرى من درجات الدقه ، والاختلاف فى درجة الدقه قد يشوه المفهوم (١٤٩) ، وحاولت الدراسه توضيح المفاهيم والافتراضات التى يتضمنها اطار تحليل النظم ، والسمات والخصائص التى ترتبط بهذا الاطار .

لكن هل استطاع تحليل النظم ان يقدم "نظريه ديناميكيه" (١٥٠) ، تجعل البحث السياسى قادر على التنبؤ بحالات مستقبليه معينه ، انطلاقا من الحاله الحاضره المعطاه ؟

كانت انطلاقة تحليل النظم على يد ايستون ، لكنها لم تات من فراغ . فقد جاءت فى سياق تيار اخذ يتخذ له مسارا فى العلوم الاجتماعيه ، وفى علم السياسه ، من هنا نلمس المصادر الفكريه التى استند اليها ايستون فى اطاره ، وهى مصادر تجد اصولها داخل علم السياسه ذاته ، فى كتابات هارولد لا سويل وجورج كاتلن وشارلز مريم ، ومن خارج علم السياسه ، خصوصا تلكوت برسونز وعلماء آخرين فى علوم الاجتماع والاقتصاد والاحياء وغيرها .

لايمكن القول بنجاح ايستون فى بناء نظريه كامله محكمه ، موضع قبول واتفاق عام ، بين علماء السياسه ، او الباحثين فى حقل السياسه المقارنه ، لكنه نجح

فى صياغة اطار نظرى له اهميته ، وقوته التحليليه ، فى فترة كانت كتاباته فيها تمثل فتحا جديدا فى مجال البحث السياسى . ورغم كل ما وجه الى هذا الاطار من انتقاد ، واعتراضات ، فانه قد ايقظ انتباه علماء السياسه على طرق وفنات جديده للتحليل (١٥١) ، كالمدخلات والمخرجات والتغذيه الراجعه ، ومفهومه عن التخصيص السلطوى للقيم ، والذى اضحى يمثل اهميه مركزيه فى صياغته .

فرغم ما واجهته هذه الطرق والفنات ، واطار التحليل الجديد من انتقادات فقد فتحت الطريق امام نماذج جديده ، وامكانيات اضافيه للبحث السياسى وتمثل محاولة ايستون توفيقا ناجحا بين منهج ميكانيكى ومنهج بيولوجى ، وبين مهام "العلم الاساسى" وما تفرضه من تحليل امبيريقى ، وضرورات "العلم التطبيقى" وما تفرضه من ملاءمه .

وتمثل محاولة كارل دويتش اضافه واثراء ، له ابعاده وامكانياته ، فى البحث السياسى ، من خلال المفاهيم والافتراضات التى صاغها فى شكل جمع بين تحليلات سوسيولوجيه وبيولوجيه ، وعناصر للاتصال السياسى ، وكفاءة وانجاز النظام ، وتغيره فى رؤيه للسياسه باعتبارها نوعا من التوجيه او التسيير الذاتى ، وهى تحليلات وعناصر ورؤيه تحمل ، على الاقل جزئيا ، ملامح نموذج علمى فى طور التكوين (١٥٢) ، وان كان الاتصال مثل هذا النموذج فى حاجه الى جهد ومثابره ، والى بحوث ومناهج اضافيه (١٥٣) .

ويقدم سبيرو تصورا خاصا للنظام السياسى فى حالة توازن ديناميكى ، بين اهداف حددها فى اربعة :

١ - الاستقرار . ٢ - والمرونه . ٣ - الكفاءه . ٤ - الفاعليه . وانماط سياسيه لنظم فرعيه صاغها فى اربعة : ١ - الشرعيه . ٢ - البراجماتيه . ٣ - العنف . ٤ - الايديولوجيه (١٥٤) . والمشكلات تشكل عقبات فى طريق الاهداف ، وتثور بشانها الاختلافات ، وهى مشكلات دستوريه او اقتصاديه او سلطويه ، او

ثقافيه ، وتاخذ تتابعا في النظام السياسي من مراحل للصياغه ، واحكام الصياغه والحل والاعتراف بهذا الحل وقبوله .

ورغم الاهميه النظريه لهذا النموذج ، وامكانياته التحليليه ، فان محاولات تطبيقه بشكل نظامي لم تات بعد ، لتخرج هذا النموذج من كونه نموذجا لمفاهيم مجرده حول النظم ، الى امكانيات البحث الامبيريقي .

وجاءت محاولة كابلن ، لتشبه الى حدما ، محاولة ايستون ، لكنها ارتبطت اساسا بالنظم الدوليه ، بعد ان ثبت قصور اطار ايستون ، وعدم صحة ادعاءاته ، بامكانية تطبيقه على النظم الدوليه (١٥٥) .

هوامش البحث

(١) Morton H. Davies & Vaughan A. Lewis. Models of Political Sytems (Londan : Pall Mall Press, Ltd., 1971) PP.16-17 .

(٢) انظر :

David Easton. The Political System - An Inquiry into the state of Political Science (New york : Alfred A. knopf, 1953) P .97.

(٣) يعتقد ايستون ان النظريه فى علم السياسه تستخدم عادة للأشاره الى معنى مناقشة القيم السياسيه او الى فلسفة علم السياسه . وللتمييز بينها وبين المعانى الاخرى يطلق عليها : نظرية القيم . انظر : Ibid., P.52. .

(٤) يورد بعض الباحثين توضيحا لمراحل ثلاثه مرت بها جهود ايستون ، تبدأ بكتابه "النظام السياسى" (١٩٥٣) وتستمر من خلال كتاباته التى تناولت "اطارا للتحليل السياسى" ، "وتحليل النظم فى الحياه السياسيه" (١٩٦٥) . ويعتقد أن ايستون قد حاول اخيرا ان يحرك نظريته نحو موقف امبيريقى بدراسته : كيف ومتى يبدأ تاييد الطفل للسلطه السياسيه ، فى النظام السياسى ، الامريكى خصوصا . راجع تفصيلات ذلك فى :-

Ronald H. chilcote. Theoris of Comparative Politics : The Search for a Paradigm (Boulder, Colorado : Westview Press, Inc., 1981) PP.145-157 .

(٥) Ibid., P.146.

(٦) David Easton. The Potitical System-An Inquiry into the state of Political Sciece. Op.cit., Passim.

(٧) Ibid., PP. 129-134.

(٨) Ronald H. Chilcote. op.cit., P.147.

(٩) David Easton. The Political System-An Inquiry into the state of Political science. op.cit., p.128 .

(١٠) Ibid., PP. 131-132.

(١١) Ibid., P. 133.

(١٢) Ronald H. Chilcote, op.cit., P.147.

(١٣) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. "Competing Paradigms in Comparative Politics". in : Robert T. Holt & John E. Turner (eds.) The Methodology of Cmparative Research (New york: The Free Press, 1970) P.42.

(١٤) Ibid., PP. 42-43.

(١٥) Ibid., P. 43 .

(١٦) Ibid., PP 41-42.

(١٧) Ibid., P. 42 .

(١٨) المصدر :- Michael G. Roskin et al. Political Science-An Introduction (Englewood Cliffs, New Jersey : Prentice- Hall, 1988) P.22.

Ronald H. Chilcote. op.cit., P. 147 Fred M. frohock. "Systems Theory and Structural- Functional Aralysis". in : D. M. Freeman (ed.) Foundation sf Political Science(New york: The free Press, 1977) PP.588-593.

(١٩) نشر كتابان لايستون فى عام ١٩٦٥ :-

-David Easton. A Framework For Political Analysis (Englewood Cliffs, New Jersey : Prentice-Hall, 1965)

- David Easton. A systems Analysis of Political Life (New york: John wiley & Sons, Inc., 1965)

ويشير الكتابان الى تبلور مرحله جديده متميزه فى افكاره .

(٣٠) يضيف ايستون اليها منظمة حلف شكمال الاطلنطى .

(٣١) انظر :-

Talcott Parsons. "The political Aspect of Social Structre and Process". in : David Easton (ed.) Varieties & Political Theory (Englewood cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1966) PP. 71-112 esp. at PP. 96-103 .

(٣٢) لمزيد من التفصيل راجع : Ibid., PP.99-102

(٣٣) Ibid., PP.102-103 .

(٣٤) Ibid., P.103 .

(٣٥) المصدر : Ronald H. chicote, Op.cit., P. 149

(٣٦) راجع الطبعه الثانيه من كتاب :-

David A Systems Analysis & Political Life.

(New york: John Wiley &Sons, Inc., 1967).

حيث تناول هذا الكتاب فى الجزء الاول اسس التحليل النظريه PP.3-36 وفى الجزء الثانى المدخلات المطالب PP.37-152 وفى الجزء الثالث المدخلات التاييد PP.153-246 وفى الجزء الرابع الاستجابه للضغوط الواقعه على النظام . PP. 247-342

(٣٧) فاصبح اسم ايستون يرتبط عادة بمصطلح تحليل النظم . انظر :

Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op. cit, P.41 .

(٣٨) انظر :-

Ronald H. Chilcote. op.cit., P.150 .

(٣٩) David Easton "The Current Meaning of Behavioralism in Political Science". in : Howard Ball & Thomas P. Lauth, Jr. (eds.) Changing Perspectives in Cantemporary Political Analysis (Englewood Cliffs, New jersey: Prentice-Hall, Inc., 1971) P. 103.

(٣٠) Ibid., P. 102 .

(٣١) Idem.

(٣٢) W. J. M. Machenzie. Politics and Social Science(Baltimore, Maryland : Penguin Books, 1967) P. 96 .

(٣٣) انظر :

Thomas J. Lewis "Parsons' and David Easton's Analysis of The support system". Canadian Journal of Political Sciece. Science. Vol. vii (December 1974) PP. 672-686.

حيث يناقش الكاتب مفاهيم التاييد للنظام لدى كل من ديفيد ايستون وتلكوت برسونز ، وعلاقتها بمفاهيم المساواه والاتفاق ، على النحو الذى تتضمنه الليبراليه الكلاسيكيه ، ويصل الى تلك النتيجه حيث يرى ان مفاهيم برسونز تعتبر ليبراليه ، بينما مفاهيم ايستون غير ليبراليه .

(٣٤) كذلك استند ايستون فى كتاباته الى اعمال كثير من علماء الاجتماع والانثربولوجيا ، يمكن ملاحظتها فى المراجع التى استندت اليها كتاباته ، امثال Malinowski , Radcliffe - Brown , Merton & Levy :

(٣٥) William C. Mitchell - "Politics of The Allocation oe Values : A Critique" Ethics. vol. LXXI No.2 (January 1961) PP.79-89 esp. at P.79 .

(٣٦) Ibid., P. 87

(٣٧) Ibid., P.88

(٣٨) Fred M. Frohock. op.cit., PP. 590-591 .

(٣٩) William C. Mitchell. op.cit., P.79.

(٤٠) Fred M. frohock. op.cit., P. 590.

(٤١) David Easton. A Systems Analysis of Politicol Life op.cit., P. 14

(٤٢) Ronald H. Chilcote, op.cit., PP. 151-152 .

(٤٣) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op.cit., P. 41 , P.45 .

(٤٤) John D. Astin. "Easton I and Easton II" _ The Western Political Quarterly vol. xxv. No.4 (December 1972) PP. 726-737.

(٤٥) ربما يجيب ايستون عن هذا السؤال راجع :

David Easton . The New Revolution in Political Science. The American Political Science Reuiew. vol. LXIII. No. 4 (December 1969) PP. 1051-10610

لكن آستين يشير الى الصعوبه فى هذا التوفيق بين العلم الاساسى Basic Scienco وضرورات الملاءمه التى تفرضها حركة ما بعد السلوكيه لدى ايستون راجع : John D. Astin, Ibid., P. 737

(٤٦) John D. Astin, Idem.

(٤٧) Idem.

(٤٨) وذلك وفق رأى Thomas L. Thorson كما ورد فى : Idem. .

(٤٩) وذلك ضمن اعمال اللجنه التى شكلتها جامعة شيكاغو فى الولايات المتحدة ، عام ١٩٥١ ، من علماء فى هذه العلوم ، لمناقشة مشكلات منهج النظم بشكل مكثف ، والجمع بين مختلف وجهات النظر فى تلك العلوم المختلفه انظر :-

Ronale H. Chilcote . op.cit., P. 152.

(٥٠) Idem.

(٥١) Ibid., P. 153.

(٥٢) Robert T. Holt & John M. Richardeson, Jr. op.cit., P.45.

(٥٣) Ibid., P. 43 .

(٥٤) Idem.

(٥٥) Ibid., PP. 43-44.

(٥٦) Ibid., P. 44.

(٥٧) Idem.

(٥٨) Idem.

(٥٩) I bid., PP. 44-45.

(٦٠) Ibid., P.45.

(٦١) Idem .

(٦٢) Ronald H. Chilcote. op.cit., P. 157.

(٦٣) Ibid., PP. 157-158.

(٦٤) Ibid., P. 158.

(٦٥) Idem.

(٦٦) Idem.

(٦٧) Ibid, PP. 158-159.

(٦٨) William C. Mitchell "The Shape of Political Theory to come: From Political; Socilogy to Political Economy" in: Seymour Martin Lipset (ed.) Politics and the Social sciences (New york : Oxford univ. Press, 1969) P. 105 .

(٦٩) Ibid., P. 107 . المصدر

(٧٠) Ibid., P. 108.

(٧١) Ibid., P. 108 . لمزيد من التفصيل راجع :

(٧٢) Idem : المصدر

(٧٣) Ronald H. Chilcote. op. cit., P. 159.

(٧٤) Idem.

(٧٥) Ibid., PP. 159-160.

(٧٦) Ibid., P. 160 .

(٧٧) John D. Astin. op.cit., P. 726 .

(٧٨) Ronald H. Chilcote op.cit., P. 160,P.161 .

(٧٩) Paul F. kress . "Self, System, and Signficance : Reflections on Professor Easton's Political Science" Ethics. vol. LXXVII No. 1 . (October 1966) PP. 1-13. esp. at. p. 11.

(٨٠) Ibid ., P.8.

(٨٢) انظر : Ibid., P.1.

ويحدد الكاتب مجموعتين من العناصر التحليليه التى تضمنتها كتابات ايستون : اولهما تتعلق بالنظام الكلى ، وثانيهما تتناول الوحدات المكونه له . لمزيد من التفصيل راجع : P.8 .

(٨٣) Ibid., PP. 1-2,P.12

(٨٤) لمزيد من التفصيل انظر : Ibid., P.12

(٨٥) انظر مثالا لهذه المناقشه فى :

Michael G. Roskin et al. op.cit., PP.21-23.

(٨٦) Ibid., P.23

(٨٧) المصدر : Ibid., P.24.

(٨٨) Ronald H. Chilcote. op.cit., P.161. .

(٨٩) Idem

(٩٠) David Easton . the New Rovlution in Political Science. op.cit.

(٩١) راجع :

Eugene F. Miller "David Easton's Politicol Theory" Political Science Reviewer vol. 1 (Fall 1971) PP. 184-235 .

حيث مراجعة تفصيليه ومتعمقه لكتابات ايستون الرئيسيه حول النظم من خلال مراحل : الاعداد والتكوين او البناء والتقييم ، محددا صعوبات منهج ايستون والمكانه النظريه التى تمثلها .

(٩٢) Ibid., P. 210.

(٩٣) Ibid., P.233.

(٩٤) من خلال التامل ، اكثر منه من خلال حقائق التجربه ، انظر :
Ronald H. Chilcolte op.cit ., P. 161.

(٩٥) Ibid., P.155.

(٩٦) انظر مثلا :
Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op.cit., P.39

حيث يعتقد هولت وريتشارد سون ان ما يقدمه دويتش يمكن ان يؤدى الى نظريه متقدمه او نموذج كامل متقدم تماما .

(٩٧) Ronald H. Chilcote. -op.cit., P.155.

(٩٨) لعل اهم كتابات كارل دويتش التى تتضمن فكرته عن النظام العصبى ، وما يرتبط به من عمليات اتصال وتحكم او ضبط ، واستخدامه فى علم السياسه ، الكتاب الذى يحمل عنوان "اعصاب الحكومه : نماذج الضبط والاتصال السياسى" .
Karl W. Deutsch. The Nerves of Gocernment : Models of Political Communication and control (New york : The free Press of Glencoe 1963) .

(٩٩) انظر :
Peter Calvert. "Politics, Power and Revolution-An Introduction to Comparative Politics (London : Wheatsheaf Books Ltd., 1983) P.13.

(١٠٠) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op.cit., P. 39.

(١٠١) Karl W. Deutsch. The Nerves of Government : Models of political Communication and control, op.cit., P. 243 .

(١٠٢) Karl W. Dentsch. Politics ane Government: How People ecide Their Fate (Bo[illegible] Co. , 1974). PP 53-15

(١٠٣) Ibid., PP. 180-183 .

(١٠٤) Ibid., PP. 175-176.

(١٠٥) Ibid., PP. 146-148.

(١٠٦) Ibid., P. 160 .

(١٠٧) Ibid., P.161 .

(١٠٨) Ibid., P.162 .

(١٠٩) Ibid., P. 163 .

(١١٠) وقد أشار دويتش الى ان هذه التغيرات قد تكون عنيفه ثوريه ، كما قد تكون تدريجيه اصلاحيه . راجع : Ibid., PP. 163-164

ويشبه هذا التغير بالتغير فى الفرد الذى يجتاز مراحل الطفولة والشباب والبلوغ ما يطرأ عليه من تغييرات .

(١١١) Ibid., P. 165 .

(١١٢) Ibid., P. 166 .

(١١٣) يشبه ذلك دويتش بالحاسب الالى . انظر : Ibid., P. 177.

(١١٤) Idem.

(١١٥) Ibid., P. 178 .

(١١٦) Ibid., P, 181.

(١١٧) Ibid ., P. 230 .

(١١٨) Ibid., PP. 235-238.

(١١٩) Ibid., P. 249.

(١٢٠) Robert T. Holt & John M. Richardson ,Jr. op.cit., P. 39 .

(١٢١) Ronald H. Chilcote. op.cit., P. 156 .

(١٢٢) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op. cit., P.40 .

(١٢٣) انظر : Ibid., P. 41 .

وقد وجدت بعض محاولات لبلورة مجموعات من الافتراضات لعملية صنع القرار وفق نموذج سبرناتيقى ، وربطه بنموذجين اولهما معرفى او ادراكى ، والآخر تحليلى وهما مكملان للنموذج الاول راجع :

Robert Cutler. The Cybernetic Theory Reconsidered Michigan Journal of Political Science. vol . 1 . No.2 (Fall 1981) PP. 57-63.

(١٢٤) انظر : Robert T. Holt & John M. Richardosn. Jr. Ibid., P.40.

حيث يشير هولت وريتشارد سون الى ان التقديرات بشان تحليلات دويتش قد تجعل منها ضئيلة القيمة ، او بلا قيمة حقيقيه ، خصوصا وان نماذج دراسة السياسه المقارنه قد تاخذ اشكالا مختلفه تماما .

(١٢٥) انظر : Ronald H. Chilcote. op.cit. , P. 154.

(١٢٦) Idem

(١٢٧) Herbert J. Spiro. Comparative Politics : A Comprehensive Approach . The American Palitical Science Review. vol . Lxi No.3 (September 1962) PP. 577-595, esp. at P. 577 .

(١٢٨) يستخدم سبيرو مصطلح Community ليطبقه على الجماعات المختلفه ، كجماعات المصلحه ، الى جانب المجتمع ، انظر : Ibid., P. 590

(١٢٩) Ibid., P. 577

(١٣٠) Idem.

(١٣١) Idem.

(١٣٢) Ibid., P. 578 .

(١٣٣) Ibid., P. 579.

(١٣٤) المصدر : . Ibid., P.580

(١٣٥) للمزيد من التفصيل حول هذه الانتقادات مراجع : Ibid., PP. 589-590

وقد حاول سبيرو الرد على بعضها مسبقا ، فمعيار النظام السياسى فى رايه هو "مجتمع به عملية قضايا" بغض النظر عن نمط هذا المجتمع ، وبغض

النظر عن الفشل او النجاح فى محاولة حل مشاكله . اما الغاء دور المؤسسات فاشار الى ان هذا الالغاء مقصود ، لتجنب المقارنه الشكليه ، والمغلوطه ، مثلا بين الكونجرس الامريكى والبرلمان السويسرى .

(١٣٦) Ronald H, Chicote - op. cit., P. 155 .

(١٣٧) انظر :

Morton A. Kaplan - System and Process in International Politics (New york : John Wiley and sons, 1957) -

والذى يعتبر جهدا رائدا لتطبيق نظريه النظم على دراسة السياسه الدوليه .

(١٣٨) Ronald H. Chilcote - op.cit., P. 156 .

(١٣٩) Morton A. Kaplan. System and Process in International Politics. op.cit., P. 4.

(١٤٠) Idem.

(١٤١) عن التوازن التوازن الديناميكى فى مفهوم كابلن انظر : Ibid., PP. 5-8 .

(١٤٢) يعالجها فى الفصل السادس من كتابه : Ibid., PP. 21-52 .

(١٤٣) Ibid., P.4, P.88.

(١٤٤) لمزيد من التفصيل حول انماط التوازن ، فقد يكون مستقر او توازن سكونى ستاتيكى او توازن غير مستقر راجع :

Morton A. Kaplan. Macropolitics - Selected Essays on the Philosophy and Science of Politics (Chicago : Aldine publishing Co., 1969). PP. 58-62.

(١٤٥) انظر : Ronald H. Chilcote. op.cit., PP. 156-157 .

(١٤٦) Ibid., P. 157.

(١٤٧) اشار مورتن كابلن ، وديفيد سنجر الى الحاجه الى مزيد من الجهود ، والنظريات ، ونماذج التحليل فى العلاقات الدوليه . راجع :-

- Morton A. Kaplan. Problems of Theory Building and Theory Confirmation in International Politics. World Politics vol. XIV No.

1 (October 1961) PP. 6-24 esp. at P. 6, P.9.

- J. David Singer. the Level-of- Analysis Problem in International Relations World Politics vol. XIV No. 1 (October, 1961) PP. 77-92. esp. at PP. 78-80.

وتشير بعض الدراسات الى اهمية التشابه بين المجتمعات البدائيه ، والتى لديها نظما سياسيه ، كتلك التى يمثلها النظام السياسى الدولى . انظر :

Rorer D. Masters. World Politics as A Primitive Political System. World Politics. vol. XVI. No. 4 (July 1964) PP. 595-619 esP. at P. 597.

فيوضح الكاتب بعض اوجه الشبه ، كغياب الحكومه الرسميه التى لها قوة العقاب وتطبيق القانون ، والاستخدام الذاتى للعنف من قبل اعضاء النظام لفرض الالتزامات وتحقيق اهدافهم ، واستخدام الوحدات السياسيه لتلبية وظائف عديده فى النظام الاجتماعى العام .

(١٤٨) Amitai Etzoni. "Toward A Macrosociology : Elements of a Theory of Societal and Political Processes. in : D.M. Freeman (ed.) op. cit., PP. 607-641 . esp. at P.621 .

(١٤٩) Anatol Rapoport. "Some System Approaches to Political Theory ". in : David Easton (ed.) Varieties of Political Theary op. cit, P. 129

(١٥٠) Ibid., P. 130 .

(١٥١) Ronald H. Chilcote. op. cit., P. 157 .

(١٥٢) Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr. op. cit., P. 39.

(١٥٣) Ibid., P. 40 .

(١٥٤) Herbert J. Spiro. op.cit., PP. 578-579.

(١٥٥) Ronald H. Chilcote. op. cit., PP. 156-157.